مُوقِظاتُ التَّدَبُّرِ القُرآني



تصنيف
د. حمزة بن فايع آل فتحي



بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام الحسن البصري رحمه الله :

(إن من كان قبلكم رآه (أي القرآن) رسائل من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل ، ويُنفذونها بالنهار).

يقول أبو العالية رحمه الله :

(كنا نعد من أعظم الذنب ان يتعلم الرجل القرآن ثم ينام لا يقرأ منه شيئًا).

قال وهيب بن الورد رحمه الله :

(نظرنا في هذه الأحاديث، فلم نجد شيئًا أرقَّ للقلوب ولا أشد استجلابًا للحزن من قراءة القرآن ، وتفهمه ، وتدبره).



قال العلامةُ ابن القيم رحمه الله :

(فَلَا شَيْء أَنْفَع للقلب من قِرَاءَة الْقُرْآن بالتدبر والتفكر، فَإِنَّهُ جَامعٌ لجمِيع منَازِل السائرين وأحوال العاملين ومقامات العارفين، وَهُوَ الَّذِي يُورث الْمحبَّة والشوق وَالْخَوْف والرجاء والانابة والتوكل وَالرِّضَا والتفويض والشكْر والصَّبْر) .



فهرس المحتويات


تصميم
حازم حسن
HAZEM HASSAN
للتواصل :
00201129593573
hazemhass33@gmail.com



المبتدأ

الحمدُ للهِ حمدًا كثيرا طيبًا مباركًا فيه، وصلّى الله وسلم وباركَ على نبينا محمد وعلى آلهِ وصحبِهِ أجمعين.....

أما بعد :

فتأملت الأشجار في الصيف، كيف يغتالها الوهج الشمسي فتبيت متدلية للهلاك ، ولكن سرعان ما تخففُ عنها الأمطارُ اللحظاتِ الأخيرة ، وتعيد فيها الحياةَ ، وتعاهدنا لها بالماء ينشطها ويجددها، ويجعلها عاليةَ الصمود، وكذلك قلوب بني آدم هي كأشجار الصيف، لا تطرب إلا مع الماء الإيماني، لديها التماسك الداخلي ولكنها عرضة للعواصف والنوائب، ولا يجددها شيءٌ كالقرآن وتدبر ما فيه من البينات والعجائب ..!

**

فيظلُّ سؤالًا محيرًا ، ولغزا دفينًا ، ذلكَ الخواء الروحي الذي نعيشه تجاه معاني القرآن، وقوارع الآيات، وقطعيات البراهين ، ورقيقات المواعظ...فلماذا لا نتدبر القرآن...

ولماذا يطول ذلك الحائل ، ويلجم علينا أبصارنا ونسائمنا..؟!

لكأنك تحتاج إلى مشعل لحرقه ، أو مقود لخرقه، لتشم الأفانين، وتستطعم الجمال ، الذي حُرمت منه طويلًا ، وحُرم منه جماعاتٌ غير قليلة ...

وبالتأمل في الواقع الاجتماعي والفكري الذي نعيشه .. أقلّ العبادات في حياتنا –مع عظمتها– عبادةُ التدبر، وفقدان الوعي القرآني، الذي يصلح القلوب، ويهدي النفوس ، ويزكي العقول..!

وبرغمِ ما في القرآن من جاذبية سريعة، الا أن القلوب محصنة عن الانتفاع ، قد سُدّت أبوابها ، وأغلقت منافذها ، وضيق على نفحاتها ، لتبيت في غم مضيوم ، وحزن مشؤوم ، وكرب معلوم ، يحول بينها وبين المنافع، ويعوقها عن المزارع ، ويمنعها الروائع...

فيتلى الكتابُ ولا تحس أثره ، وتقرأ الآيات فلا تجد ينبوعها، وترتل البينات وكانها لأمةٍ مختلفة...

ونحن لم تحنْ ساعتُنا ، ولم تستيقظ قلوبنا ، أو تنشرح صدورُنا...!!!

وأيمُ الله أرّقني هذا الموضوع، وجعلت أطيلُ التفكير كثيرًا ، وأقلّبُ القضية من جميع مناحيها ، وأعيد النظر من عدة زوايا...



ولا أبرحُ أراجع مشكلةَ عدم اعتنائنا بالتدبر ، وفشلنا في الانتفاع بالقرآن العظيم ... برُغم فضلهِ وعظمته، وديمة تلاوته وسماعه، وكثرة الخطب والنصيحة به....

وعندَ التأمل في آياته وتوجيهاته ، تشاهد أن من ضمن نصوصه ما يحمل على التدبر ، ويحفز على العمل ، ويساعد على تلاشي الغفلة، فهي مقومات من داخل النص، وعناصر من مشكاة الكتاب، تلامس الإنسان في حياته وتقرع مسامعه ، وتهيج وجدانه، وتجعله أقرب ما يكون إلى وعي القرآن والتعلق به، والانطراح بين يديه ، فلا يتجاوزه كثيرًا ، ولا يعمل على تضييعه وهجرانه ، والله المستعان .



وبما أنَّ المادة مهيأةٌ في كتاب الله، وطرقها ميسور، وقد أعدت مقوماتها ، وسطعت معالمها ، فلم لا تكون الحافزَ الأول ، والمقومَ الاساس لقضية التدبر ، وخطوات معالجتها ، وفي التشافي بالقرآن من موانع القرآن سبيل إلى تفهم أكثره أو كله ، بحيث يسهل للعبد تفسيره ، ويدرك مفاهيمه ، فيتجه اتجاها صحيحا للترويض الذهني والنفسي ، ليصير من أهلِ القرآن وحملته الصادقين . فإنَّ استقرار آية في القلب، وانسيابها في ذاته كاف بإذن الله في تبدّل حياته وانقلاب نظرته إلى التدبر، وحلول فصول السعادة عليه، وجريان ينابيعها داخله، وما تحقق سابقًا بسبب ظلم الغفلة ستأتي عليه الينابيع لتمحو اثره، وتجدد سوقه وأغصانه، والله لطيف بعباده...

وإذا استوعبنا تلك الآيات المشهورة في بداهة العقول، هانَ الخطب، وتهيأت النفوس لمسألة التدبر ، واستعدت له استعدادا بليغًا. لاسيما وأنها تلامس الحيلة والواقع . وإن كنا مطالبين بالتجدد العقلي عند التلاوة مطلقًا ، ليحصلَ الانتفاع، ويطيبَ الإصغاء. قال العلامةُ ابن القيم رحمه اللهُ في كتابه " الفوائد " : "قاعدة جليلة: إذا أردتَ الانتفاعَ بالقرآن فاجمع قلبَك عند تلاوته وسماعه، وألقِ سمعَك واحضر حُضُورَ مَن يخاطبه به من تكلَّم به سُبحانه منه إليه، فإنَّه خطاب منه لك على لسان رسوله، قال تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} [ق:٣٧]؛ وذلك أنَّ تمام التَّأثير لمَّا كان موقُوفًا على مُؤثِّر مُقتضٍ، ومحلٍّ قابِل، وشرطًا لحُصول الأثَر وانتفاء المانِع الذي يَمنع منه، تضمَّنَت الآية



بيانَ ذلك كله بأوجَز لَفظ وأبيَنه وأدله على المُراد، فقوله: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى} ؛ إشارة إلى ما تقدَّم من أول السُّورة إلى ها هنا؛ وهذا هو المؤثِّر، وقوله: {لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ} ؛ فهذا هو المحلُّ القابِل، والمراد به القلب الحيُّ الذي يَعقل عن الله؛ كما قال تعالى: {إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ . لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا} [يس:٦٩-٧٠]؛ أي: حي القَلب، وقوله: {أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ} ؛ أي: وجَّه سمعَه وأصغى حاسَّة سَمعه إلى ما يُقال له؛ وهذا شرط التأثُّر بالكلام، وقوله: {وَهُوَ شَهِيدٌ} ؛ أي: شاهد القلب حاضر".

نفعنا الله وإياكم بهدي كتابهِ، وجعلنا من أهله المتدبرين ، وخاصته المتأملين ، والحمدُ للهِ رب العالمين.. محايل عسير

٢ صفر ١٤٤٣هـ

**

١/ التحميدُ اليومي :
(الحمدُ للّهِ رب العالمين)

- نُكرِّرها كلَّ يوم، ونُردِّدها كلَّ ساعة، وهي في صلاتنا المكتوبة سبعَ عشرة مرة، دعْ عنك النوافل والتطوعات.. .. وتذكرك بحمدِ الله وذكرِهِ على الدوام...! الحمدُ للهِ رب العالمين ، أي نحمدُه مقرين بفضله وعبوديته محبةً وإجلالًا ، فالحمدُ وصف المحمود بالكمال محبةً وتعظيما ، وإجلالا،..! يفيضُ بها اللسانُ نطقًا وانشراحا ، ويصدِّقها القلبُ إيمانًا وإجلالًا .

**

- تقولها بعد الاستفتاح مباشرةً ، فتسري حروفها في جسدك مستشعرا نعمةَ الله عليك، فكم أسبغَ من نعم ، وكم أفاضَ من خيراتٍ صبّت في الأجساد والأرواح ، والعبادات والأرزاق والمعايش ، وفتح لك أبواب كل شيء.
- وفي الحديث قال الرسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " قَالَ اللهُ تَعَالَى : قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ : { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : حَمِدَنِي عَبْدِي. وَإِذَا قَالَ : { الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي. وَإِذَا قَالَ : { مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } ، قَالَ : مَجَّدَنِي عَبْدِي. وَقَالَ مَرَّةً : فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي. فَإِذَا قَالَ { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } ، قَالَ : هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي

وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. فَإِذَا قَالَ : { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } ، قَالَ : هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ ". رواه مسلم في الصحيح .

- وأجمع المسلمون على أن الله محمودٌ على سائر نِعَمه، وأن مما أنعم الله به الايمان وهو أجلها ، فدلَّ على أن الإيمانَ فعله وخلقه، والدليل على ذلك قوله: ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾، والعالمون جملة المخلوقات .

- وهي سورةُ الحمد التي تعلمك عبوديةَ الله ، وحمده في البدء وعلى الدوام، وحين الثناء عليه ، وصدقَ الاستعانة به والتوكل عليه..(إياك نعبد وإياك نستعين).



- قَالَ أَبُو جَعْفَرِ بْنُ جَرِيرٍ: مَعْنَى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ : الشُّكْرُ لِلَّهِ خَالِصًا دُونَ سَائِرِ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، وَدُونَ كُلِّ مَا بَرَأَ مِنْ خَلْقِهِ، بِمَا أَنْعَمَ عَلَى عِبَادِهِ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي لَا يُحْصِيهَا الْعَدَدُ، وَلَا يُحِيطُ بِعَدَدِهَا غَيْرُهُ أَحَدٌ، فِي تَصْحِيحِ الْآلَاتِ لِطَاعَتِهِ، وَتَمْكِينِ جَوَارِحِ أَجْسَامِ الْمُكَلَّفِينَ لِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، مَعَ مَا بَسَطَ لَهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ مِنَ الرِّزْقِ، وغذَّاهم بِهِ مِنْ نَعِيمِ الْعَيْشِ، مِنْ غَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ مِنْهُمْ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَمَعَ مَا نَبَّهَهُمْ عَلَيْهِ وَدَعَاهُمْ إِلَيْهِ، مِنَ الْأَسْبَابِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى دَوَامِ الْخُلُودِ فِي دَارِ الْمُقَامِ فِي النَّعِيمِ الْمُقِيمِ، فَلِرَبِّنَا الْحَمْدُ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ أَوَّلًا وَآخِرًا.و ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ثَنَاءٌ أَثْنَى بِهِ عَلَى نَفْسِهِ وَفِي ضِمْنِهِ أَمَرَ عِبَادَهُ أَنْ يُثْنُوا عَلَيْهِ فَكَأَنَّهُ قَالَ: قُولُوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ .

- والـذي يشـدُّك في الفاتحـة عظمتُهـا الوهاجـة، وتكرارهـا اليومي، وسهولتُها على اللسان، وحفظ الجميع لها، وأنها الفاتحـة والشـفاء والرقيـة ، وأم الكتـاب والسـبع المثـاني ، والقرآن العظيم ..!
- وقُلها وأنت مستشعرٌ لها ، مطمئن بها، قال ابـن القيـم رحمـه الله:" تجدُ تحت هذه الكلمة إثباتَ كـل كمـال للـرب تعـالى فعـلًا ووصـفًا واسـمًا، وتنزيهـه عـن كـل سـوء وعيـب فعـلًا ووصـفًا واسـمًا، فهـو محمـودٌ في أفعالـه وأوصـافه وأسـمائه، منـزَّهٌ عـن العيـوب والنقـائص في أفعالـه وأوصـافه وأسـمائه، فأفعالُه كلُّها حكمةٌ ورحمة ، ومصلحةٌ وعـدل لا تخـرج عـن ذلـك، وأوصـافُه كلهـا أوصـاف كمـالٍ ونعـوت جـلال،

وأسماؤه كلُّها حسنى، وحمدُه قد ملأ الدنيا والآخرة والسماوات والأرض وما بينهما وما فيهما، فالكونُ كلُّه ناطقٌ بحمده، والخلقُ والأمر صادرٌ عن حمده، وقائمٌ بحمده ووُجِد بحمده، فحمدُه هو سببُ وجودِ كلِّ موجود، وهو غايةُ كلِّ موجود، وكلُّ موجودٍ شاهدٌ بحمده، وإرسالُه رسولِه بحمده، وإنزالُه كتبَه بحمده، والجنةُ عُمرتْ بأهلها بحمده، والنارُ عُمرتْ بأهلها بحمدِه، وما أُطِيعَ إلا بحمده، وما عُصي إلا بحمده، ولا تسقطُ ورقةٌ إلا بحمده، ولا يتحركُ في الكون ذرةٌ إلا بحمْدِه.

- ومع ما فيها من الثناء الجميل ، إلا أنها ضربٌ من الدعاء ، كما تقدم في حديث مسلم ، وعند الترمذي عن جَابِرِ بن عَبْدِ



اللهِ رضـي الله عنـه قـال: سَـمِعْتُ رَسُـولَ اللهِ صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (أَفْضَلُ الذِّكْرِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ : الْحَمْدُ لِلَّهِ).

- قال الشيخُ السندي رحمه اللهُ :" يحتملُ أن المرادَ به سورةُ الفاتحة بتمامها ، كان هذا اللفظ بمنزلة القلب لها قال الطيبي : يمكن أن يكون قولُ الحمد لله من باب التلميح والإشارة إلى قوله { اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم } أي دعاء أفضل وأكمل وأجمع من ذلك ، ويحتمل أن المراد هذه اللفظة ..،وعلى هذا فقيل إطلاق الدعاء عليه من باب المجاز ، ولعله أفضل الدعاء من حيث إنه سؤال لطيف يدق مسلكه ، ومن ذلك قول أمية بن أبي



الصلت حين خرج إلى بعض الملوك يطلب نائله : إذا أثنى عليك المرء يوما ... كفاه عن تعرضه الثناءُ . وقيل إنما جعل دعاءً لأن الدعاء عبارةٌ عن ذكر الله ، وأن يطلب منه حاجته والحديث يشملها فإن من حمد الله إنما يحمد على نعمته والحمدُ على النعمة طلب مزيد قال تعالى: لئن شكرتم لأزيدنكم.." .

**



٢/ الجبالُ المتصدعة :
(خاشعًا متصدعًا من خشية الله)

- هل مرَّ عليك ورأيتَ صخورا صماء متصدعة، وقد هُدهِدت من موضعها ..! هنا صورةٌ إيمانية بليغة موجعة، تقشعرُّ لها قلوبُ الذين آمنوا ، وهم يتأملون خضوعَ الجبالِ المتصدعة، وخشوعها عند آياي القرآن.. فكيف بقلوبنا نحن ..؟! ولماذا تظلُّ قاسيةً جافية، حاملةً في دفتيها الغفلة أو العناد أحيانا....

______**______

- فاعجبْ من انتفاعِ الجبال بهذا الكتابَ لو قُدِّر لها، أنها تتشقق(من خشية الله) وتعظيمه، حذراً من عقابه، وخوفًا من أن يؤدي ما يجب عليه من تعظيم كلام الله، وهذا تمثيل

وتخييل، يقتضي علوَّ شأن القرآن، وقوة تأثيره في القلوب، قال ابن عباس رضي الله عنهما في الآية: " يقول: " لو أني أنزلت هذا القرآن على جبل وحملته إياه ، لتصدع وخشع من ثقله، ومن خشية الله، فأمر الناس إذا نزل عليهم القرآن أن يأخذوه بالخشية الشديدة، والتخشع والخاشع الذليل المتواضع" .

- وتأملُ هذه الصورة العجيبة كاف في الاعتداء ومراجعة النفس ، والسعي في علاجها وانتشالها من غفلتها، فلقد طُوقت في براثن اللهو ، ورسمت عليها الغفلةُ قصرها وحصنها العتيد..! والذي يحتاج إلى آلاتٍ شداد للهدم والاستنقاذ، والله المستعان .



- فَإذا كانَ الجَبَلُ في غِلْظَتِهِ وقَساوَتِهِ لَوْ فَهِمَ هَذا القُرْآنَ فَتَدَبَّرَ ما فِيهِ لَخَشَعَ وتَصَدَّعَ مِن خَوْفِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ، فَكَيْفَ يَلِيقُ بِكم أَيُّها البَشَرُ أَلّا تَلِينَ قُلُوبُكم، وتَخْشَعَ، وتَتَصَدَّعَ مِن خَشْيَةِ اللهِ، وقرعتكم المواعظ ، ونبهتكم الزواجر، وقَدْ فَهِمْتُمْ عَنِ اللهِ أَمْرَهُ وقَدْ تَدَبَّرْتُمْ كِتابَهُ، ولِهَذا قالَ تَعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ لَعَلَّهم يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١] .
- وعائدةُ هذا التأمل تجرع الألم ، ومحاولة علاج هذا السقم الحائل دون الانتفاع بالذكرِ الحكيم ، والذي هو غالبا قسوة جاثمة ، او غفلة طاغية، أو انشغال باتر ، أو هشاشة عقلية وايمانية ، لا تحاولُ الاستنهاض بروحها ومستقبلها تزكيةً ونماء وانشراحا . . . !



- ولذلك نفتقدُ كثيرا من صور السعادة جراء فقداننا حلاوة التدبر، وحدائق تفهم القرآن العظيم..

- والسؤال هنا : لمَ تأثر السابقون ، ونحن في جمود وفتور ؟! .. وَقَدْ وُجِدَ لِبَعْضِ النّاسِ تغيرٌ وتفاعلٌ عِنْدَ سَماعِ آياتٍ مِنَ القُرْآنِ، مِن ذَلِكَ ما ذكره الإمامُ ابْنُ كَثِيرٍ رحمه الله في سُورَةِ "الطُّورِ" عَنْ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قالَ: خَرَجَ عُمَرُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - يَعُسُّ بِالمَدِينَةِ ذاتَ لَيْلَةٍ فَمَرَّ بِدارِ رَجُلٍ مِنَ المُسْلِمِينَ فَوافَقَهُ قائِمًا يُصَلِّي فَوَقَفَ يَسْتَمِعُ قِراءَتَهُ فَقَرَأَ: ﴿والطُّورِ﴾ [الطور: ١] حَتّى بَلَغَ: ﴿إنَّ عَذابَ رَبِّكَ لَواقِعٌ ﴿ما لَهُ مِن دافِعٍ﴾ [الطور: ٧ - ٨] قالَ: قَسَمٌ ورَبِّ الكَعْبَةِ حَقٌّ، فَنَزَلَ عَنْ حِمارِهِ واسْتَنَدَ إلى حائِطٍ فَمَكَثَ مَلِيًّا، ثُمَّ



رَجَعَ إلى مَنزِلِهِ، فَمَكَثَ شَهْرًا يَعُودُهُ النّاسُ لا يَدْرُونَ ما مَرَضُهُ...

- والأعجبُ تصرعُ أناسٍ ووفاتهم من وقع الآيات الصارم ، وقد ماتَ جَماعَةٌ عِنْدَ سَماعِ آياتٍ مِنهُ أُفْرِدُوا بِالتَّصْنِيفِ، وقَدْ يَنْشَأُ هُنا سُؤالٌ : كَيْفَ يَكُونُ هَذا تَأْثِيرُ القُرْآنِ لَوْ أُنْزِلَ عَلى الجِبالِ ولَمْ تَتَأَثَّرْ بِهِ القُلُوبُ ؟ وقَدْ أجابَ القُرْآنُ عَنْ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكم مِن بَعْدِ ذَلِكَ فَهي كالحِجارَةِ أوْ أشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤]، وكَذَلِكَ أصَمُّوا آذانَهم عَنْ سَماعِهِ، وغَلَّفُوا قُلُوبَهم بِالكُفْرِ عَنْ فَهْمِهِ، وأوْصَدُوها بِأقْفالِها فَقالُوا: ﴿قُلُوبُنا غُلْفٌ﴾ [البقرة: ٨٨]،



- وكَـذَلِكَ قَوْلُـهُ تَعـالى: ﴿وَمَـن أظْلَـمُ مِمَّـنْ ذُكِّـرَ بِآيـاتِ رَبِّـهِ فَأعْرَضَ عَنْها ونَسِيَ مـا قَـدَّمَتْ يَـداهُ إنّـا جَعَلْنا عَلـى قُلُـوبِهِمْ أكِنَّةً أنْ يَفْقَهُوهُ وفي آذانِهِمْ وقْرًا﴾ [الكهف: ٥٧] أيْ: بِسَبَبِ الإعْـراضِ وعَـدَمِ التَّـدَبُّرِ والنِّسْـيانِ، ولِـذا قـالَ تَعـالى عَـنْهم: ﴿أفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ أمْ عَلى قُلُوبٍ أقْفالُها﴾ [محمـد: ٢٤] فَهَذِهِ أسْبابُ عَدَمِ تَأثُّرِ الكَفّارِ بِالقُرْآنِ كَما قالَ الشّاعِرُ: إذا لَـمْ يَكُنْ لِلْمَـرْءِ عَيْنٌ صَـحِيحَةٌ ... فَـلا غَـرْوَ أنْ يَرْتـابَ والصُّـبْحُ مُسْـفِرُ..! ومفهـوم ذلـك مخالفـةً يقتضـي تأثيرهـا في أهـل الإيمان...!

- والصورةُ الفكريةُ المستخلصة هنا ليست عسِرةً، وهي حافزةٌ ومشــجعة في معالجــة الحالــة التدبريــة للقلــب، ورجوعــه الصادق إلى خالقه ومولاه..

**



٣/ الهدايةُ الفسيحة :
(إن هذا القرآنَ يهدي للتي هي أقوم)

مَنْ روعةِ القرآنِ وعظمتِه أنه بابُ الهدايةِ، ومفتاحُ البشرى والرعاية ، والمَنجَى لنا من طرق الزيغ والغواية ..(إن هذا القرآنَ يهدي للتي هي أقوم) أي أعدل طريقةً وأعلى حالًا ، من العقائد والأعمال والأخلاق، فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن كان أكملَ الناس وأقومهم ، وأهداهم في جميع أموره، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله .

——❋❋——

- هـدى أهلَـه لأحسـن الطـرق دينًـا وعمـلا وفكـرا وأخلاقًـا وأحوالا ، فاختار لهم الإسلامَ على الضلالة ، والخيرَ على

الشرور، والنور على الظلمة، والسنة على البدعة، والأمانَ على الضياع والقلق... وفيه من معاني الهداية ما لا تحصى عملًا ، وفهمًا ، وانتفاعا ...

- وتُدركُ تلك باتباعه وتلاوته، وانتهاجه والعمل به، وارتضائه والاسترشاد بما فيه..(وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ) سورة النمل .
- وقال تعالى في صدر المصحف : ﴿ الم * ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ١، ٢]. ففيه هداية خاصة بهم ترحمهم وتثبتهم ، وتزيد من سعادتهم . وقال: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩] . هداية القرآن" كانت السبب

في تلك النقلة النوعية العظيمة التي حدثت في حياة العرب، فقد كان العرب قبل إنزال القرآن عليهم في حالةٍ همجية لا توصف، فلم يَمضِ عليهم قرن ونصف قرن حتى ملكوا عالمَ زمانهم، وفاقوا أمم الأرض سياسةً ومجدًا ، وعلمًا وفلسفة ، وصناعة وتجارة. وكل هذا لعمري لم ينتج إلا عن هدي القرآن وإرشاده ومواعظه .

- فالقرآنُ وحدَه الذي كان كافيًا في اجتذاب الأمم القديمة وهدايتها، جدير أن يكون كافيًا اليوم أيضًا في اجتذاب الأمم الحديثة وهدايتها، لا سيما وتأثيره ظاهر ، وآثاره عليهم عظيمة، ولا زلنا نشاهد إسلامهم وتأثر كثيرين بمنهجه وقرآنه وأحكامه .



- ولبلوغ أنوار الهداية القرآنية ، علينا تلاوتُه بقصد الاستهداء والانتفاع ، والاستنارة والارتقاء ، والتعلم والاستشفاء.. فكم من ضلالاتٍ عابرة، وكم من أسقام قائمة ، وكم من محازن عاتية .

- والهداية أنواعٌ : قال الإمام العلامة ابنُ القيم رحمه الله تعالى في :بدائع الفوائد حيث بين أن الهداية أربعة أنواع ، وهي:

١ – الهدايه العامة المشتركة بين الخَلْق المذكورة في قوله تعالى: " (الذي أعطى كل شيء خلقة ثم هدى) (طه / ٥٠)

أي : أعطى كل شيء صورته التي لا يشتبه فيها بغيره وأعطى كل عضو شكله وهيئته وأعطى كل موجود خَلْقَهُ المختص به ثم هداه إلى ما خَلَقَهُ له من الأعمال ...٢– هداية البيان

والدَّلالة والتعريف لنجدي: الخيروالشر وطريقي: النجاة والهلاك وهذه الهداية لا تستلزم الهُدى التام؛ فإنها سبب وشرطٌ لا موجب ، ولهذا ينبغي الهُدى معها كقوله تعالى : "وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهُدى " (فصلت / ١٧) أي: بيّنا لهم وأرشدناهم ، ودَلَلْناهم فلم يهتدوا . ومنها قوله تعالى :" وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم " (الشورى / ٥٢). ٣- هداية التوفيق والإلهام : وهي الهداية المستلزمة للاهتداء ، فلا يتخلف عنها وهي المذكورة في قوله تعالى :" يضل من يشاء ويهدى من يشاء " فاطر / ٨ . ٤- الهداية إلى الجنة والنار إذا سيق أهلهما إليهما ...

- والمدهشُ أنّ الله تعالى قد أودع في هذا القرآن قوة التأثير التي تجذب الأسماع والقلوب، فتؤثر على العقول والأرواح والنفوس والجوارح، قال الزركشي رحمه الله : " قال الخطابي: وقلت في إعجاز القرآن وجهًا آخر ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ في آحادهم وهو: صنيعُه بالقلوب وتأثيره في النفوس؛ فإنك لا تسمع كلامًا غير القرآن منظومًا ولا منثوراً إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في حال أخرى ما يخلص منه إليه، قال الله تعالى: ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ﴾ [الحشر: ٢١] وقال تعالى: ﴿ اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ

الْحَـدِيثِ كِتَابًـا مُتَشَـابِهًا مَثَـانِيَ تَقْشَـعِرُّ مِنْـهُ جُلُـودُ الَّـذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ [الزمر: ٢٣]".

- فـإلى كـلِّ مـن احتـارَ أو اضـطرب أو تشـكك، وحاصـرته الظنـون، عُـد إلـى كتـاب الله ، واهتـدِ بأحكامـه ، وتعلـم مـن أصوله ، وانهل من تشريعاته ، وارشف من ينابيعه، واعلـم أنَّ بعـدَ الهداية نـوراً يستقر في القلـب، ورحمـة تحبِّـبُ الخيـر ، وسعادةً تدفعُ الحزن، ويقينًا يزيل الريب .
- وإذا استمكنَ ذلك منك ، آثرته على كل المحابّ واللذائذ ، واسـتبانت لـك السـبلُ، واستمسـكت بـه، وزدتَ مـن وِرده وتعظيمه ، حتى يبيتَ أصلًا أصيلًا في حياتك وتكوينك .

- (ويبشر المؤمنين) : فهو بشرى وطوبى ، بما اشتمل عليه من الوعد بالخير آجلاً وعاجلاً (الذين يعملون الصالحات) التي أرشد إلى عملها القرآن (أن لهم) أي بأن لهم (أجراً كبيراً) وهو الجنة .

- استمعه مشركو مكة فصدَّع قلوبهم ، وارتعب منه عتبةُ بن ربيعة، وتصدع قلبَ جبير بن مطعم لما سمعه، وانبهر أُسيد بن حُضير وسعد بن معاذ لما سمعاه وأسلما ، وغيرهم كثير، واللهُ الموفق .

**

٤/ الروحُ الحيةُ:

(وكذلك أوحينا إليك روحاً ..)

هذه الروحُ الحية هي القرآنُ ، وقد احتوى مادةَ الحياة والزكاء والنماء...﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ يَعْنِي: الْقُرْآنَ، ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإيمَانُ﴾ أَيْ: عَلَى التَّفْصِيلِ الَّذِي شُرِعَ لَكَ فِي الْقُرْآنِ، ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ﴾ أَيِ: الْقُرْآنَ ﴿نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ ، كَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فُصِّلَتْ:٤٤] .

**

- أحييناك بروح من أمرنا ، ومنحناك حياةً جديدة ، وتفضلنا عليك بالنور الحي، والرحمة المبهجة ، التي لن تشقيك أبدًا، ولن تسعد بسواها ...! فهل وعيتَ أنك تحيا كلَّ يوم بهذا القرآن ودرسه، بل كل ساعة، وكل لحظة ، وفي كل همسات الحياة ، أنت حيٌّ بهذا القرآن ، وعديم بدونه...(روحًا من أمرنا).

- قال العلامةُ ابنُ القيم رحمه الله : " فَسَمّى سبحانه وحْيَهُ وأمْرَهُ رُوحًا، لِما يَحْصُلُ بِهِ مِن حَياةِ القُلُوبِ والأرْواحِ وَسَمّاهُ نُورًا؛ لِما يَحْصُلُ بِهِ مِنَ الهُدى واسْتِنارَةِ القُلُوبِ والفُرْقانِ بَيْنَ الحَقِّ والباطِلِ"، وجمع بين الروح الذي يحصل به الحياة، والنور الذي يحصل به الإضاءة

والإشراق، وأخبرَ أنّ كتابَه الذي أنزله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم متضمنٌ للأمرين، فهو روحٌ تحيا به القلوب، ونور تستضيء وتشرقُ به...والله سبحانه إنما رفعَ من رفع بالكتاب والإيمان، ووضع من وضع بعدمهما.

- والصَّحِيحُ في ضمير (جعلناه) أَنَّهُ يَعُودُ عَلى الرُّوحِ، في قَوْلِهِ: ﴿رُوحًا مِن أَمْرِنا﴾ فَأَخْبَرَ تَعالى أَنَّهُ جَعَلَ أَمَرَهُ رُوحًا ونُورًا وهُدًى، ولِهَذا تَرى صاحِبَ اتِّباعِ الأمْرِ والسُّنَّةِ قَدْ كُسِيَ مِنَ الرُّوحِ والنُّورِ وما يَتْبَعُهُما مِنَ الحَلاوَةِ والمَهابَةِ والجَلالَةِ والقَبُولِ ما قَدْ حُرِمَهُ غَيْرُهُ، كَما قالَ الحَسَنُ: (إنَّ المُؤْمِنَ مَن رُزِقَ حَلاوَةً ومَهابَةً)..



- وَسَمّاهُ رُوحًا في غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنَ القُرْآنِ كَقَوْلِهِ تَعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجاتِ ذُو العَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِن أَمْرِهِ عَلى مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ﴾ [غافر: ١٥]. وَقالَ تَعالى: ﴿يُنَزِّلُ المَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِن أَمْرِهِ عَلى مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلّا أَنا فاتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢].

- وقال أيضًا رحمه الله: وَسَمّاهُ نُورًا لِما يَحْصُلُ بِهِ مِنَ اسْتِنارَةِ القُلُوبِ وإضاءَتِها وكَمالِ الرُّوحِ بِهاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ: بِالحَياةِ والنُّورِ. ولا سَبيلَ إِلَيْهِما إِلّا عَلى أَيْدِي الرُّسُلِ صَلَواتُ اللهِ وسَلامُهُ عَلَيْهِمْ والِاهْتِداءِ بِما بُعِثُوا بِهِ وتَلَقِّي العِلْمِ النّافِعِ والعَمَلِ الصّالِحِ مِن مِشْكاتِهِمْ وإلّا فالرُّوحُ مَيْتَةٌ مُظْلِمَةٌ، فَإِنْ كانَ العَبْدُ مُشارًا إِلَيْهِ بِالزُّهْدِ والفِقْهِ والفَضِيلَةِ والكَلامِ



والبُحُوثِ فَإِنَّ الحَياةَ والِاسْتِنارَةَ بِالرُّوحِ الَّذِي أَوْحاهُ اللهُ تَعالى إلى رَسُولِهِ ﷺ وجَعَلَهُ نُورًا يَهْدِي بِهِ مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ وراءَ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَلَيْسَ العِلْمُ كَثْرَةَ النَّقْلِ والبَحْثِ والكَلامِ، ولَكِنْ نُورٌ يَمِيزُ بِهِ صَحِيحَ الأَقْوالِ مِن سَقِيمِها، وحَقِّها مِن باطِلِها، وما هو مِن مِشْكاةِ النُّبُوَّةِ مِمّا هو مِن آراءِ الرِّجالِ ويَمِيزُ النَّقْدَ الَّذِي عَلَيْهِ سِكَّةُ المَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ الَّذِي لا يَقْبَلُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ ثَمَنًا لِجَنَّتِهِ سِواهُ مِنَ النَّقْدِ الَّذِي عَلَيْهِ " سِكَّةُ " جَنْكِيزْخانْ ونُوّابِهِ مِنَ الفَلاسِفَةِ والجَهْمِيَّةِ، والمُعْتَزِلَةِ وكُلِّ مَنِ اتَّخَذَ لِنَفْسِهِ سِكَّةً وضَرْبًا ونَقْدًا يُرَوِّجُهُ بَيْنَ العالَمِ فَهَذِهِ الأَثْمانُ كُلُّها زُيُوفٌ لا يَقْبَلُ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى في ثَمَنِ جَنَّتِهِ شَيْئًا مِنها ..



- بَلْ تُرَدُّ عَلى عامِلِها أحْوَجَ ما يَكُونُ إلَيْها، وتَكُونُ مِنَ الأعْمال الَّتِي قدِم اللهُ تَعالى عَلَيْها، فَجَعَلَها هَباءً مَنثُورًا، ولِصاحِبِها نَصِيبٌ وافِرٌ مِن قَوْلِهِ تَعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكم بِالأخْسَرِينَ أعْمالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهم في الحَياةِ الدُّنْيا وهم يَحْسَبُونَ أنَّهم يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣].
- وكما اهتدى صلّى اللهُ عليه وسلم وانشرحَ صدرُه بهذا الوحي العظيم، كذلك أنت أيها المسلم سماعًا أو تلاوة، إذا أقبلت بصدقٍ، وأزلتَ العوائق والأغلفة، سيفتح الله عليك، وتحيا حياة نديةً، بمقتضيات هذه الكتَاب، كما قال في موضع آخر: (أَوَمَن كَانَ مَيتا فَأَحيَينَٰهُ وَجَعَلنَا لَهُۥ نُورا يَمشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيسَ بِخَارِج مِّنهَا) سورة

الأنعـام . مَـن كـانَ مَيِّـتَ القَلْـبِ بِعَـدَمِ رُوحِ العِلْـمِ والهُـدى والإيمانِ، فَأحْياهُ الرَّبُّ تعالى بِرُوحٍ أُخْرى غَيْـرِ الـرُّوحِ الَّتِي أحْيا بِها بَدَنَهُ، وهي رُوحُ مَعْرِفَتِهِ وتَوْحِيـدِهِ، ومَحَبَّتِهِ وعِبادَتِـهِ وحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ؛ إذْ لا حَياةَ لِلرُّوحِ إلّا بِـذَلِك، وإلّا فَهـي في جُمْلَـةِ الأمْـواتِ، ولِهَـذا وصَـفَ اللهُ تَعـالى مَـن عُـدِمَ ذَلِـكَ بِالمَوْتِ، فَقالَ: ﴿أوَمَن كانَ مَيْتًا فَأحْيَيْناهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وقـالَ تَعـالى: ﴿إنَّـكَ لا تُسْـمِعُ المَـوْتى ولا تُسْـمِعُ الصُّـمَّ الدُّعاءَ﴾ [النمل: ٨٠].

▪ وقد أحيا هذا الكتاب جثثـًا هامدة، ونفوسـًا طاغيـة، كانت في الضباب راسخة ، وفي التيـه جاثيـة ، فكيـفَ بمسـلم تلطخ بشيء من أقذار الدنيا، وقد أحسَّ بذنبه ، وثقله على كاهلـه،



فجـاء ربـه تائبًـا ائبـًا... أفـلا يحيـا بمواعظـه ، ويصـحو بزواجره، ويرقى بقصصه...

- فاجعل هذا المعنى الذهني والتدبري قَبالةَ قلبك، واحمله مع ما يجتاحك من الذنوب ، وعش وعيه والاستيقاظ بـه، فإنـك تحيـا الحيـاةَ الأبديـة، وتعـيش لونًـا مختلفـا مـن زينـة الحيـاة وبهجتها ، والسلام .

**



٥/ موعظةُ طيلةَ الحياة :
(قد جاءتكم موعظةٌ من ربكم..)

الموعظةُ هي ما يزجرُ المرءَ ويُرقِّقه ، ويُعيدُه إلى صوابه ، ويجعلُه سليمَ المسلك، نبيهَ الفكر، خصيبَ القلب...! ولئن تعبتَ في البحث عنها خُطبًا ونثرا ومقامات، وأشعارًا وقصصًا ، فإنك لن تعجزَ عن وجودِها في القرآن ، بلفظِه ومعناه، وسره وبيانه، وجاذبيته وإعجازه ، وأصلِه ويقينِه، ونصحِه وتوجيهه .. (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡجَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ) سورة يونس .

**

- تضوعُ مواعظهُ في الأرواح، فتنسابُ انسيابًا ، وتُحدثُ نغمًا داخليًا آسراً، تتعلقُ به بهجتُه، وتألفه أنسامُه، وتجد فيه حلاوةً لا نظير لها ولا نديد..! وكلُّ آية فيه لها وقعٌ وأثر ، وغرسٌ ينبت نباته الزاهر ، وغصنه الباهر ...
- آيةٌ جليلةٌ في سياق النعمة والامتنان على الخلائق بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ، والذكرِ المبين عَلَى رَسُولِهِ الْكَرِيمِ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أَيْ: زَاجِرٌ عَنِ الْفَوَاحِشِ، ﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ أَيْ: مِنَ الشُّبَه وَالشُّكُوكِ، وَهُوَ إِزَالَةُ مَا فِيهَا مِنْ رِجْسٍ ودَنَس، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ أَيْ: محصلٌ لَهَا الْهِدَايَةُ وَالرَّحْمَةُ مِنَ اللهِ تَعَالَى. وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَالْمُصَدِّقِينَ الْمُوقِنِينَ بِمَا فِيهِ، كَمَا

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُنزلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلا خَسَارًا﴾ سورة الإسراء.

- وموعظةُ الواعظ كوصفة الطبيب، ترقِّقُ، وتوجه وتهدي، وتحذرُ العواقب ، وتبسطُ الحلول ، وتعالجُ المعضلات ، ولا أجلّ وأعظمَ من موعظةِ القرآنَ ، التي نوعها الله تعالى ، وجعلها غصونًا من العلم والمعارف والمباهج .
- فاستشعرْ في حياتِك على الدوام، أن القرآنَ موعظةٌ لك، كما أنه هدايةٌ ورحمة، وبشرى وملاذ.. ستنزاح به عنك كلُّ جفاوة وقسوة، وكلُّ حزن وتعاسة، وستنال معه أنوارَ السعادة، ومفاتيحَ التوبة والانشراح ...



- وتلك الموعظة فيها تَزْكِيَةٌ للنفوس بِالوَعْدِ والوَعِيدِ، والإنْذارِ والبِشارَةِ، والزَّجْرِ عَنِ الذُّنُوبِ المُوَرِّطَةِ في العِقابِ، وروائع القصص، والتَّحْرِيضِ عَلى الأعْمالِ المُوجِبَةِ لِلثَّوابِ، لِتَعْمَلُوا عَلى الخَوْفِ والرَّجاءِ، فتكفوا عن الغفلات، وتسارعوا في الخيرات .. ﴿وشِفاءٌ لِما في الصُّدُورِ﴾ أيِ القُلُوبِ مِن أمْراضِها الفتاكة، كالشَّكِّ والنِّفاقِ والشُّبه ، والغِلِّ والغِشِّ، وأمْثالِ ذَلِكَ، بِتَعْلِيمِ الحَقائِقِ، والحِكَمِ المُوجِبَةِ لِلْيَقِينِ، وتَصْفِيَتِها بِقَبُولِ المَعارِفِ، والتَّنَوُّرِ بِنُورِ التَّوْحِيدِ والخضوع ، وقد ظهرت أسقامٌ جديدة في هذا العصر الملبَّد بالفتن، والشكوكات العريضة، والتي تلمعها بعضُ الوسائل والنوافذ الإعلامية،

ورؤوسُ الشر والغواية ، ولا دواء لها إلا موعظةُ القرآنِ المتفهمة، وعبَرِه المُلهمة..! ﴿وهُدًى﴾ أيْ لِنُفُوسِكم مِنَ الضَّلالَةِ ﴿ورَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أيْ لِمَن آمَنَ بِهِ، بِالنَّجاةِ مِنَ العَذابِ والِارْتِقاءِ إلى دَرَجاتِ النَّعِيمِ.

- قال الإمامُ ابنُ القيم رحمه الله :" فَعمَّ بِالمَوْعِظَةِ والشفاء ، وخصَّ بِالهدى والمعرفة فَهو نَفسه شِفاءٌ استشفى بِهِ أوْ لم يسْتَشف بِهِ ولم يصفِ اللهُ في كِتابه بالشفاء إلّا القُرْآنَ والعَسَل ، فهما الشفاآن، هَذا شِفاء القُلُوب من أمراض غيها وضلالها وأدواء شبهاتها وشهواتها، وهَذا شِفاء للأبدان من كثير من أسقامها وأخلاطها وآفاتها .. ولَقَد أصابني أيام مقامي "بِمَكَّة " أسقام مُخْتَلفَة ، ولا طَبِيب هُناكَ ولا أدوية كَما في

غَيرها من المدن ، فَكنت أستشفي بالعسل وماء زَمْزَم ورأيت فيهما من الشِّفاء أمراً عجيبا، وتَأمل إخباره سُبْحانَهُ وتَعالى عَن القُرْآن بِأَنَّهُ نَفسُه شِفاء وقالَ عَن العسل: ﴿فِيهِ شِفاء للنّاس﴾ وما كانَ نَفسُه شِفاءً أبلغَ مِمّا جعل فِيهِ شِفاء.

- وكتابٌ يوصفُ بهذه الصفات الأربع، لخليقٌ أن يُفرحَ به، ويُحتفى بتلاوته وموضوعاته .. : ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾أَيْ: بِهَذَا الَّذِي جَاءَهُمْ مِنَ اللهِ مِنَ الْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ فَلْيَفْرَحُوا، فَإِنَّهُ أَوْلَى مَا يَفْرَحُونَ بِهِ، ﴿هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أَيْ: مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا مِنَ الزَّهْرَةِ الْفَانِيَةِ الذَّاهِبَةِ لَا مَحَالَةَ، لأنها وإن أسعدت قليلا ، فهي زائلة، ويعقبها التعب والأسى، وهي



وإن غرت لساعات فهي ذابلة منقشعة، وتؤول إلى الضنى والعناء ، واللهُ المستعان .

ـــــــــــــ❊❊ـــــــــــــ



٦/ طمأنينةُ القلوب :
(ألا بذكر الله تطمئن القلوب)

طمأنينةُ القلب هي نورٌ يغشى الروحَ فيُحدثُ فيها سكينةً هانئة ، وهدوءاً حلوًا ، وراحةً خصيبة، وسرورًا خميلا ، تُنسي الهمومَ والغموم والأحزان ...(الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله، ألا بذكر الله تطمئن القلوب) سورة الرعد .

**

- وهذا شيءٌ يحُسه المؤمنُ ويستشعره كلُّ ذاكر لله ، يلمسُ الراحة، ويستطعمُ السكون، ويزولُ عنه القلقُ والاضطراب، لا سيما من التزمَ الذكر، ولاصقَ القرآنَ ، وعرفَ أذكار الليل والنهار ، وكان من أهلها المواظبين، وأصحابها المشمرين



..(والـذاكرين الله كثيـرا والـذاكرات ، أعـدَّ الله لهـم مغفـرةً وأجرًا عظيمًا) سورة الأحزاب.

- إن تـردادَ (لا إلـهَ إلا اللهُ) أو (الحمـدُ لله) كثيـرًا ، لـه وقعُـه العجيب في النفس، فكيف بمـن يستديم (قـل هـو الله أحـد) كل يوم.. أو يعيش جليس القرآن، لا تفلتٍ أو هجران....!
- وإنمـا اطمأنـت قلـوبُهم بالـذكر لمـا رأت فيـه مـن حقـائق الإيمـان ، وروائـع العلـم، وأطايـب الفهـم، التـي جـذبتهم ، واستمالتهم بلا مشقة، وسرَت فيهم سَـريانَ المـاء في الـزرع، فهشّوا لها وبشّوا، وتمَّ لهم الخيرُ والفلاح....!
- قال الإمامُ ابن القيم رحمـه اللهُ:" الطمأنينة إلـى اللّـه سـبحانه حقيقةٌ تردُ منه سبحانه على قلـب عبـده تجمعـه عليـه، وتـردُّ



قلبَه الشارد إليه ، حتى كأنه جالسٌ بين يديه؟ يسمعُ به ويبصرُ به ، ويتحرك به ويبطش به، فتسري تلك الطمأنينةُ في نفسِه وقلبه ومفاصله وقواه الظاهرة والباطنة، تجذب روحه إلى اللّه ويلينُ جلدُه وقلبه ومفاصله إلى خدمته ، والتقرب إليه ولا يمكن حصولُ الطمأنينة الحقيقة إلا باللّه وبذكره ، وهو كلامه الذي أنزله على رسوله كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهم بِذِكْرِ اللهِ ألا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ﴾.

- فإن طمأنينةَ القلب سكونُه واستقرارُه بزوال القلق والانزعاج عنه، وهذا لا يتأتى بشيء سوى اللّه تعالى وذكره البتة، وأما ما عداه فالطمأنينة إليه وبه غرورٌ والثقةُ به عجزٌ، قضى اللّه



سبحانه وتعالى قضاءً لا مرد له ، أنَّ من اطمأن إلى شيء سواه ، أتاه القلقُ والانزعاج والاضطراب من جهته كائنا من كان..".

- فسبحان من جعل في ذكره راحةً القلب ، وطمأنينة النفس ، وهدوء البال ، فيعيش المرء سعيدا مطمئنًا، بفضل ربه ورحمته، ولو قل ماله ، او ضاقت حياته وكثر أعداؤه..! لانه ينام القلب المطمئن ، والسكينة الدافئة ، والسعادة البهيجة ، والتي حُرمَ منها أكثرُ الناس، حتى من تضخم جاههم، أو تغازرت أموالهم ، فلم تغن عنهم من اللهِ شيئا ، لأنَّ القلوبَ تجاه ربها مقصرةٌ، ولذكرهِ هاجرة ، وفي دلائله مرتابة، ولا حول ولا قوةَ إلا بالله..



- وخلاصـةُ العلـم التـدبري مـن هـذه اللـة ، أنَّ دواءَ القلـق والاكتئاب إنما هو في ذكرٍ مطمئن ، وقلـبٍ خاشع ، ولسانٍ لاهج ، يعظمُ الله، ويركن إليه في شتى الصروف والظـروف .

وأن القلـبَ الإنسـاني في قلـق مـا عـاش بـدون ذكـر وتفكـرٍ وابتهـال (فـاذكروني أذكـركم واشـكروا لـي ولا تَكفـرون) سورة البقرة .

**



٧/ القرآنُ المُحكَم :
(ولو كان من عند غير اللّه لوجدوا فيه..)

من إعجازِ القرآن وصدقيتِه واكتماله، أنه محكمُ الآيات ، ناصعُ البيان، مفصَّلُ المعاني ، منزهٌ عن الزيادة والنقصان ، ليس فيه ملحظٌ ولا اختلافٌ كما قال عزوجل:(ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا). سورة النساء .

**

- وكان هذا من دواعي تعظيمِه وتدبرِ آياته ، والإصغاء لبيناته...(أفلا يتدبرون القرآن..) .وكأنه لا يصلحُ للتدبرِ والانتفاع إلا الكلامُ الطيبُ الوافي الشافي، العري عن

التناقض والشذوذات، بحيث تؤتي الموعظة أثرها ، وتبلغ الحكمةُ مبلغها في نفوس متلقيها...! وهذه سمة القرآن.

- ولذلك يمتنّ الله علينا بذلك، ويستنكرُ علينا تجاهل هذه القضية.. أفلا يتدبرون. ولِمَ تنشغلون ، وفيه كلُّ صور الكمال ، ودلائل الجمال والجلال... فيَقُولُ تَعَالَى آمِرًا عِبَادَهُ بِتَدَبُّرِ الْقُرْآنِ، وَنَاهِيًا لَهُمْ عَنِ الْإِعْرَاضِ عَنْهُ، وَعَنْ تَفَهُّمِ مَعَانِيهِ الْمُحْكَمَةِ وَأَلْفَاظِهِ الْبَلِيغَةِ، وَمُخْبِرًا لَهُمْ أَنَّهُ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ وَلَا اضْطِرَابَ، وَلَا تَضَادَّ وَلَا تَعَارُضَ؛ لِأَنَّهُ التنزيلُ الحق ، والنورُ الصدقُ ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى في موضع آخر : ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [مُحَمَّدٍ: ٢٤] .



- وأصْلُ التَّدَبُّرِ: التَّأَمُّلُ والنَّظَرُ في أدْبارِ الأمْرِ وعَواقِبِهِ خاصَّةً، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ في كُلِّ تَأَمُّلٍ، سَواءٌ كانَ نَظَرًا في حَقِيقَةِ الشَّيْءِ وأجْزائِهِ، أوْ سَوابِقِهِ وأسْبابِهِ، أوْ لَواحِقِهِ وأعْقابِهِ. والقرآنُ كله مادةٌ للتدبر والاتعاظ وتحقيقِ النفع بالأثر الإيماني والعلمي فيه .
- ثُمَّ قَالَ تعالى : ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ﴾ أَيْ: لَوْ كَانَ مُفْتَعَلًا مُخْتَلَقًا من جهةٍ بشرية، كَمَا يَقُولُهُ مَنْ يَقُولُهُ مِنْ الجهال ، ﴿لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ أَيْ : اضْطِرَابًا وَتَضَادًّا كَثِيرًا، لا يستقيمُ له حال، ولا يُستطابُ له معنى .

..! ولكنه من عند الله تعالى جاء للنور والهداية ، وقام به



التحـدي والإعجـاز.. (لا يـأتون بمثلـهِ ولـو كـان بعضُـهم لبعضٍ ظهيرًا) سورةُ الإسراء .

- وهذه موعظةٌ شـافية كافيـة للممتـرين والملحـدين، الـذين يجحدون الخالق أو بعض شرائعه ...! فدونكم القرآن تامَّ المعـاني ، كاملَ الوصـف، متناسـق الأسـاليب والمفـاهيم، عارٍ عن النقائص والتقليـد ، فتـأملوه وطـالعوا فيـه، لتنقشـعَ ترهـاتُكم وشـبهاتُكم ، فهـو يقـينٌ قـاطع، ومـا في نفوسـكم وهـاءٌ زائـل ...! ونعتقـد أن ترسـيخَ الخطـاب القـرآني مـن خلال هـذه النصـوص وأشـباهها كـافٍ بـإذن الله في دحـض شبهات المعاصرين ، وحل إشكالات المخلطين ..!



- وبقاءُ القرآن إلى هذا الساعة بالقوةِ الإعجازيةِ ، من حين نزوله دليلٌ على مصداقيته وقوة حججه وما انطوى عليه من قضايا عقدية وشرعية ومبدئية ، وهذا شيءٌ باعث على الفرح واليقينية عند أهل الإيمان ، مزلزل لدعاوى المبطلين والمتشككين..!

- ولو فكّروا وتركوا المكابرة لأذعنوا لدين الله، واحتفوا بالقرآن حفاوةً عالية، ولازموا تلاوته والتفكر فيه...! وأما أهلُ الإيمان فهم أحظ الناس بهذا الكتاب رفعهم وشرفهم ، وأسعدهم وباركهم ، وألهمهم وارتقى بهم ، ومن تبعات ذلك المواظبةُ عليه ومحبته ، وتحكيمُه في الحياة والفكر والأخلاق والشؤون ، والحذرُ من تعطيله أو هجرانه....!



- فهو مع بيانِه الآسر، وأسلوبِه الفخم، وجاذبيته الخاطفة، قد تنوعت موضوعاتُه، وزادت علومُه، وطالت آياتُه ، ومع ذلك لا يزال متقنًا محكمًا ، وتامًا متناسقًا ، لم يخالجه خللٌ، ولا اعتراه تناقضٌ، وهذا مما يؤكد إعجازَه وفضله، وأنه معجزةُ رب العالمين، وموعظةُ الخلائق أجمعين ، ولكم من يتعظ...؟!

**



٨/ القدرُ المريح :
(قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا)

قد استقرّ في العقل الفطري المسلم أن كلَّ شيء مقدرٌ مكتوب، وأنَّ اللهَ قد كتب أعمالَ الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألفَ سنة..! فلم يعد هنالك مجالٌ للتسخط أو التحزن...(إنا كل شيء خلقناه بقدَر) سورة القمر .

**

- فالقـدرُ حـقٌّ واقـع، كتبـه اللهُ وقـدره علـى الأنـام مـؤمنهم وكافرهم ، حتى لو سخرَ المنافقون ، أو فرح الكـافرون من جـراءِ المصـائبِ النازلـة علـيكم...! فقـل لهـم يـا

محمد...بيانًا لبطلان ما بنوا عليه مسرتهم من الاعتقاد، والعداوة لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا في اللوح المحفوظ أو في كتابه المنزل علينا، وفائدة هذا الجواب أن الإنسانَ إذا علم أن ما قدره الله كائن وإن كل ما ناله من خير أو شر إنما هو بقدر الله وقضائه، هانت عليه المصائب ولم يجد مرارة شماتة الأعداء ، وتشفي الحسدة. ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ سورة التوبة:٥١ .... (هو مولانا) أي ناصرنا وجاعل العاقبة لنا ، ومظهرٌ دينه على جميع الأديان (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) .. أي ﴿وعَلى اللهِ﴾ وحْدَهُ ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ﴾ بِأَنْ يُفَوِّضُوا الأمْرَ إلَيْهِ سُبْحانَهُ، ولا يُنافِي ذَلِكَ



أخذهم بِالأسْبابِ العادِيَّةِ إذا لَمْ يُعْتَمَدْ عَلَيْها، ويركن إليها ركونًا ينسي التوحيد لله، والإخلاص له .

- واستشعارنا لهذا المعنى الإيماني الوجودي يمنحنا الراحة النفسية، وأنْ لا فرارَ من قدر، ولا نجاةَ من محتوم ، ولكنك لا تعرض نفسك للمخاطر ، وتتباعد عن المآسي ، وتجتهد في التوقي والسلوك الدنيوي اعتمادًا على الله ، وتعاطيًا للأسباب ، كما قال في حديث الناقة (اعقلها وتوكل) .

ويدل على سلوانها قوله تعالى: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) الحديد: ٢٢ .

- ولابدَّ أن نجعلَ الآية حكمةً سيارة في حياتنا -وهو كذلك-، ولكنها لا تجعل في غير سياقها ، وتروى على سبيل الضعف والاستسلام... وليقرنْ آخرها بأولها..(وعلى الله فليتوكل المؤمنون)..

- وتوكلُهم الحق الصحيح ، بحُسن الإيمان ، وصدقِ الاعتماد، وتطبيق الشرائع ، والجهاد في الحياة ، ومواجهة صعابها، والقيام بالواجبات ..! وليكن الإيمان توكلًا حقيقا ، لا تواكلا مَهينا منهزما..! ولذلك لما مدح صلّى اللهُ عليه وسلم توكل الطيور الصباحي ، قال:(تغدو خماصًا، وتروح بِطانًا) فأثبت لها حُسن الغدوّ والحركة ، وليس النومَ والارتياح ...!

- فالتوكلُ: تفويض الأمر لله -تعالى والثقة بما قدّر مع الأخذ بالأسباب جدًا واجتهادًا ، أما التواكلُ: فهو تفويض الأمر لله -تعالى- دون الأخذ بالأسباب والعمل والاجتهاد، فتلقاه كسولا أو معتمدًا على غيره ، ويزعمُ الإيمان ، وحُسنَ التوكل والتفويض .
- فأول الآيةِ اعتقادٌ وتسلية، وختامها سلوكٌ وعمل، وبرهان ونتيجة، وأن الأليق بأهل الإيمان توكلهم الصادق، وفقههم للحياة ، وأن القدر وإنْ كان مكتوبا ، ولكنه لا يمنع العمل، أو يحول دون الحركة ، فندفعُ الجوعَ بالطعام، والبطالةَ بالعمل، والكسل بالنشاط ، والمرض بالتداوي ، وجحيم النار، بحُسن الطاعات ، وكله من قدر الله ، كما قال في

الصحيحين :(اعملوا فكلٌ ميسرٌ لما خُلق لـه) . وقـال عمـرُ رضي الله عنه في قصة طاعونِ عَمَواس:(نفرُّ من قـدرِ الله إلـى قدر الله) .

- ومن حُسنِ التوجيه النبوي لفهم قضـية القضـاء والقـدر قـول رســول الله صــلى الله عليـه وسـلم: (المـؤمنُ القـوي خيـر وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كـلٍ خيـر، احـرص على ما ينفعك ، واستعن بـالله ولا تعجـز ، وإن أصـابك شـئٌ فلا تقل: لو أني فعلتُ كان كذا وكذا، ولكن قل: قدّر الله ومـا شاء فعل، فإن لو تفتحُ عمـل الشـيطان) . فـانطلق في الحيـاة مؤمنـًـا جــادًا ، ولا تكتــرث للحــوادث، وداوهــا بــالمنهج الشرعي ... لِلَّهِ في كُلِّ ما يَجري بِهِ القَدَرُ... لُطفٌ تَحارُ بِهِ



الأَفهامُ وَالفِكَرُ.. إِنَّ الَّذي قَد شَكا عَينُ الزَمانِ لَـهُ...شَـكا لَـهُ المُســلِمونَ البَــدوُ وَالحضَــرُ.. أَقــولُ لِلنّــاسِ إِذ راعَــت شَكِيَّتُهُ...مَهلاً فَلِلَّهِ في أَحوالِنا نَظَرُ...! والله والموفق .

**

٩/ تكسير الأقفال:

(أم على قلوب أقفالها)

هل استشعرتَ في يومٍ ما -وقد رأيت الفجوةَ بينك وبين القرآن- أن القلب مقفل، وقد لفَّ عليه الغلافُ، وسطا عليه الحجابُ ، فاحتاج إلى عمليةٍ قويةٍ صادقة ، تحطمُ أقفالَه ، وتنزعُ حجابَه ، لتعاينَ حدائقَه المورقة، وغراسَه اليانعة، التي تبزغُ بالذكرِ والإيمان ...(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) سورة محمد : ٢٤ .

******



- فكما أن للبيوتِ أقفالا ، ولها حُجُبًا تمنعُ الغادي والرائح ، فكذلك القلوبُ يصنع أصحابُها عليها أقفالا وهم لا يشعرون... بسبب غفلةٍ مدلهمة ، أو معاصٍ متراكمة ، أو جلساء تافهين لاهين، حرموه الذكرَ ومجالسه، والطاعةَ ومظانها...! وكلما عظُمت الغفلة او زاد الذنبُ كبرت الأقفال واتسعت حتى يصيرَ علاجها وكسرُها شاقًا ومضنيًا..
- فالله هنا يَقُولُ (أفلا يتدبرون) آمِرًا بِتَدَبُّرِ الْقُرْآنِ وَتَفَهُّمِهِ، وَنَاهِيًا عَنِ الْإِعْرَاضِ عَنْهُ، فَقَالَ: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ أَيْ: بَلْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا، فَهِيَ مُطْبَقَة لَا يَخْلُصُ إِلَيْهَا شَيْءٌ مِنْ مَعَانِيهِ، بسبب غفلة أو ذنب .



والأقفال استعارةٌ لانغلاق القلب عن معرفة الحق، وإضافة الأقفال إلى القلوب للتنبيه على أن المراد بها ما هو للقلوب بمنزلة الأقفال للأبواب، أو أنها أقفال مخصوصة بها، مناسبة لها، تحولُ دون وعيها وأنوارها .

- ومعنى الآية أنه لا يدخل في قلوبهم الإيمانِ ولا الانتفاع بالمواعظ، ولا يخرج منها الكفرُ والشرك وحب الشهوات ، لأن الله سبحانه قد طبع ...والآية بعمومها تشملُ كلَّ من لا يتدبر القرآن، ولا يتأسى به، ويدخل فيه من نزلت فيه دخولاً أوليًا، وأما المقلدة التاركة للتدبر في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهؤلاء هم الذين على قلوبهم أقفالها...

- وفي الآيةِ شكلٌ من التوبيخ للقراء بلا تدبر .. وَما تَضَمَّنَتْهُ مِنَ التَّوْبِيخِ والإنْكارِ عَلى المعرضين عن كِتابِ اللهِ، جاءَ مُوَضَّحًا في آياتٍ كَثِيرَةٍ، كَقَوْلِهِ تَعالى: ﴿أفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ ولَوْ كانَ مِن عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وقَوْلِهِ تَعالى: ﴿أفَلَمْ يَدَّبَّرُوا القَوْلَ أمْ جاءَهم ما لَمْ يَأْتِ آباءَهُمُ الأوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨] . وَقَدْ ذَمَّ - جَلَّ وعَلا - المُعْرِضَ عَنْ هَذا القُرْآنِ العَظِيمِ في آياتٍ كَثِيرَةٍ، كَقَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَمَن أظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ فَأعْرَضَ عَنْها﴾ [الكهف: ٥٧]، وقَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَمَن أظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ ثُمَّ أعْرَضَ عَنْها﴾ [السجدة: ٢٢] .



- وَمَعْلُومٌ أنَّ كُلَّ مَن لَمْ يَشْتَغِلْ بِتَدَبُّرِ آياتِ هَـذا القُرْآنِ العَظِيمِ أيْ تَصَـفُّحِها وتَفَهُّمِهـا، وإدْراكِ مَعانِيهـا والعَمَـلِ بِهـا، فَإنَّـهُ مُعْـرِضٌ عَنْهـا، غَيْـرُ مُتَـدَبِّرٍ لَهـا فَيَسْـتَحِقُّ الإنْكـارَ والتَّـوْبِيخَ المَـذْكُورَ في الآيـاتِ إنْ كـانَ اللهُ أعْطـاهُ فَهْمًا يَقْـدِرُ بِـهِ عَلـى التَّدَبُّرِ، وقَدْ شَكا النَّبِيُّ ﷺ إلـى رَبِّـهِ الهـاجرين لهـذا القُـرْآنَ، كَما قالَ تَعالى: ﴿وَقالَ الرَّسُولُ يارَبِّ إنَّ قَوْمِي اتَّخَـذُوا هَـذا القُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقـان: - ٣٠] . وهـو نـص مقرّعٌ لكـل ذي سمعٍ وبصيرة ...
- ولعل في هذه الزواجـر مـا يصـرفُ النظـر إلـى الأقفـال ، وقلـة الوعي القرآني ، وأنَّ القلبَ في قسوة وجفوة ، وفي حاجة ماسة إلـى الطـبِ الشـرعي ، والهمـة العلاجيـة التـي تُـداوى علتـه،



وتُزيل غشاوته ، بكسر تلك الأقفال ، وجعل القلب متاحًا لفهم الموعظة القرآنية ، والله الموفق .

ـــــــــــــــ❊❊ـــــــــــــــ

١٠/ التفكر القصصي:
(فاقصصِ القصص لعلهم يتفكرون).

لعل أشدَّ ما يجذبُ الناسَ، ويخطفُ القراءَ والعامة هو القصصُ القرآني ، وتلكمُ الأحداثُ الجذّابة تاريخيًا ، وقد غصَّت عبرًا ، وشُحنت درسًا ، واحتوت كلَّ راياتِ البهجةِ والتأثير الوجداني، حتى قال اللهُ :(فاقصصِ القصصَ لعلهم يتفكرون) سورة الأعراف. وقال :(لقد كان في قصصهم عبرةٌ لأولي الألباب) سورة يوسف.

**



- فهل سيحضرُ معنا أولو الألباب لنُحركَ الأفهام ، ونشدَّ الأذهان لنظفرَ بأسرارِ القرآن ، وهداياتِ القصص القرآني المجيد ...(نحن نقص عليك أحسنَ القصص) . ولعل من الرحماتِ الإلهية العظيمة ، أنَّ القرآنَ ليس كتابَ أحكامٍ وشرائع فقط، بل فيه سلوانٌ قصصي ، وتثبيت تاريخي ، واعتبار أخباري في مصائر الأممِ والأنبياء والحضارات ... وهي جديرة بالتأمل والتدبر ، بل فيها الحوافز والجوائز والمرامز، التي تستدعي تاليها وسامعها على البدار بلا تردد، والمسارعة بلا هوادة...
- والقَصصُ لعظمتها وأنسها وغرابتها تجتذبُ الناس ، وتحرك فيهم هواجسَ التعلق والانتباه ، وهو مقصدُ القرآن

في الاستكثار منها، واجتناء الدروس والعظات ..! وقد كانت تثبيتًا لأنبياء الله وأهل الإيمان، ورسولنا على وجه الخصوص ، لأنه آخرهم.. (وكلاً نقصُ عليك من أنباء الرسل ما نُثبِّتُ بِه فؤادك) سورة هود .

- وقد سيقَ أولُ الآية مثلًا لعالم السوء المؤثر للدنيا على الآخرة...(وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ ..) وَالْمَعْنَى: إِنَّ هَذَا الْكَافِرَ إِنْ زَجَرْتَهُ لَمْ يَنْزَجِرْ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَهْتَدِ، فَالْحَالَتَانِ عِنْدَهُ سَوَاءٌ، كَحَالَتَيِ الْكَلْبِ: إِنْ طُرِدَ وَحُمِلَ عَلَيْهِ بِالطَّرْدِ كَانَ لَاهِثًا، وَإِنْ تُرِكَ وَرَبَضَ كَانَ لَاهِثًا. قَالَ الْقُتَيْبِيُّ: كُلُّ شَيْءٍ يَلْهَثُ إِنَّمَا يَلْهَثُ مِنْ إِعْيَاءٍ أَوْ عَطَشٍ إِلَّا

الْكَلْبَ، فَإِنَّهُ يَلْهَثُ فِي حَالِ الْكَلَالِ وَفِي حَالِ الرَّاحَةِ وَفِي حَالِ الْعَطَشِ، فَضَرَبَهُ اللهُ مَثَلًا لِمَنْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ فَقَالَ: إِنْ وَعَظْتَهُ فَهُوَ ضَالٌّ ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ فَهُوَ ضَالٌّ كَالْكَلْبِ إِنْ طَرَدْتَهُ لَهَثَ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ عَلَى حَالِهِ لَهَثَ، نَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ) [الْأَعْرَافُ-١٩٣].

- ثُمَّ عَمَّ بِهَذَا التَّمْثِيلِ جَمِيعَ مَنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِ اللهِ فَقَالَ: ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وَقِيلَ: هَذَا مَثَلٌ لِكُفَّارِ مَكَّةَ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَمَنَّوْنَ هَادِيًا يَهْدِيهِمْ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى طَاعَةِ اللهِ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَبِيٌّ لَا يَشُكُّونَ فِي صِدْقِهِ كَذَّبُوهُ فَلَمْ يَهْتَدُوا تُرِكُوا أَوْ دُعُوا...



﴿لَعَلَّهُم يَتَفَكَّرُونَ﴾ فَيَنْزَجِرُونَ عَمّا هم عَلَيْهِ مِنَ الكُفْرِ والضَّلالِ، ويسارعون في إعمال عقولهم ، والاعتبار من هلاك المجرمين ، والانتفاع بانتصار المؤمنين .

- ومن عجائب هذا القصص أنه حسنٌ وحق، ونورٌ وعدل، وهدى وحكمة، ما سمعه سامعٌ إلا أصغى ، ولا وُعظ به غافل إلا اتعظ ، جعل اللهُ فيه بيانًا آسراً، ومعنى جميلا ، وأسلوبا فائقًا.. فهنيئا لمن وُفِّق لمدرسة التدبر ، وحاز بركات هذا الكتابِ وعطره وفضائله .

- ومن روعته : احتواؤه كلَّ مقاصدِ السلوك الإنساني ، وتنوعُ موضوعاته وأهدافه ، وواقعيتُه، وانجذابُ الأسماع إلى أحداثه، بحيث لا تلقى سماتِ الأسطورة ، ولا الغرابة



الطافحة، ولا التجاوزات المنافية ، بل قصصٌ طيّبٌ حق ، ملاصقٌ بالمرء والواقع، يقدمُ الحلول والعبر والعظات .

- وما أعظمَ أن نجعلَ من منهاجنا التربوي حكايةَ تلك القصص في مدارسنا وجامعاتنا ، وسردها لتنتبهَ الأفهام ، بحيث ينتفعُ الطلاب ، وتنضبطُ الألباب ...(فاقصص القصص ...) فما تُحدثه أبلغَ المواعظ ، وأزكى المنائر .. فاقْصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهم يَتَفَكَّرُونَ، أيْ: فاسْرُدْ أخْبارَ القُرُونِ الماضِيَةِ كَخَبَرِ بِلْعامٍ، أوْ مَن فُسِّرَ بِهِ المُنْسَلِخُ؛ إذْ هو مِنَ القَصَصِ العحيب الباهر ، الَّذِي لا يَعْلَمُهُ إلّا مَن دَرَسَ الكُتُبَ؛ إذْ هو مِن خَفِيِّ أخْبارِهِمْ، فَفي إخْبارِكَ بِذَلِكَ أعْظَمُ مُعْجِزٍ لَعَلَّهم يَتَفَكَّرُونَ فِيما جَرى عَلى المُكَذِّبِينَ، فَيَكُونَ



ذَلِكَ عِبْرَةً لَهم ورادِعًا عَنِ التَّكْذِيبِ، وأنْ يَكُونُوا أخْبارًا شَنِيعَةً تُقَصُّ كَما قُصَّ خَبَرُ ذَلِكَ المُنْسَلِخ المبدل ، فالسعيدُ من وعظ بغيره، ولا حول ولا قوة إلا بالله تعالى ....

- وفي ذلك واعظٌ للقلبِ باليقظة والحياة ، وأنَّ الغفلةَ المستدامة لا تغني عنك من الحق شيئًا ، ولتُسألُنَّ عما كنتم تعملون ... فيكفيكم عبثًا وغفلةً، وهلموا إقبالًا وانتفاعًا ..!

والسلام .

١١/ النعمُ الرغيدةُ القريبة :
(يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان)

خلقَ اللهُ الخلقَ، وذلَّل لهم النعم، وسخرَ لهم الآلاء ، حتى إنّ بعضَهم لتأتيه رغدًا مذللةً منقادةً، من كل مكانٍ قد طابت وتنوعت ، وزانت وازدهرت .. كما قال سبحانه :(وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ) سورة النحل: ١١٢ .

**



- فتأمل هنا وأنت تلامسُ تلك النعم ، وكيف جئ بها من كل مكان، مطيبةَ الشكل والألوان..وساحرةَ المنظر والعنوان (رغدًا) أيْ: هنيئًا سَهْلًا...وقيل واسعًا ، وكافيًا غير منقوص .

- ثُمَّ وصَفَ تعالى القَرْيَةَ ، بِأَنَّها ﴿كانَتْ آمِنَةً﴾ غَيْرَ خائِفَةٍ مُطْمَئِنَّةً غَيْرَ مُنْزَعِجَةٍ، أيْ لا يَخافُ أهْلُها ولا يَنْزَعِجُونَ ﴿يَأْتِيها رِزْقُها﴾ أيْ ما يَرْتَزِقُ بِهِ أهْلُها رَغَدًا واسِعًا مِن كُلِّ مَكانٍ مِنَ الأمْكِنَةِ الَّتِي يُجْلَبُ ما فِيها إلَيْها ، كما تلامس في هذه العصور المتأخرة ، وانفتاح النعم ، واتساع المنن ، فَكَفَرَتْ أيْ كَفرَ أهْلُها﴿بِأنْعُمِ اللهِ﴾ الَّتِي أنْعَمَ بِها عَلَيْهِمْ أي خيراته وفضله، وهَذا الكُفْرُ مِنهم هو كُفْرُهم بِاللهِ سُبْحانَهُ ،

وتَكْذِيبُ رُسُلِهِ ﴿فَأذاقَها اللهُ﴾ أيْ أذاقَ أهْلَها ﴿لِباسَ الجُوعِ والخَوْفِ﴾ سُمِّيَ ذَلِكَ لِباسًا لِأنَّهُ كشف ما عَلَيْهِمْ مِنَ الهُزالِ وشُحُوبَةِ اللَّوْنِ وسُوءِ الحالِ ما هو كاللِّباسِ، فاسْتُعِيرَ لَهُ اسْمُهُ وأُوقِعَ عَلَيْهِ الإذاقَةُ، وأصْلُها الذَّوْقُ بِالفَمِ، ثُمَّ اسْتُعِيرَتْ لِمُطْلَقِ الِاتِّصالِ مَعَ بيان شدة الإصابَةِ لِما فِيها مِنِ اجْتِماعِ الإدْراكَيْنِ: إدْراكُ اللَّمْسِ، والذَّوْقِ، واللهُ المستعان .

- فهل لنا يا قراءُ، ويا متنعمون في ذلك من عبرة؟!.. ها هي النعم تزدحم علينا من كل مكان، وقد وسعها اللهُ في مناطق كثيرة، وباتت هنيئةً ميسورةً، تأتي من كل البقاع والأمصار ، وفي لحظات يسيرة، وتعاظمت وسائل النقل، وذللت المصاعب ، وتقاربت الدول، ولا من السبل ...! ومن

المؤسفِ قد تجد غفلةً وكفرانا ، وجحوداً وطغيانًا.. كما قال سبحانه في موقع آخر:(وكم أهلكنا من قريةٍ بطِرت معيشتها..) إي كفرت، وقيل: أَيْ: أَشَرَّتْ وَطَغَتْ، قَالَ عَطَاءٌ: عَاشُوا فِي الْبَطَرِ فَأَكَلُوا رِزْقَ اللهِ وَعَبَدُوا الْأَصْنَامَ، ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: لَمْ يَسْكُنْهَا إِلَّا الْمُسَافِرُونَ وَمَارُّ الطَّرِيقِ يَوْمًا أَوْ سَاعَةً، مَعْنَاهُ: لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا سُكُونًا قَلِيلًا. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: لَمْ يُعَمَّرْ مِنْهَا إِلَّا أَقَلُّهَا وَأَكْثَرُهَا خَرَابٌ، ﴿وَكُنَّا نَحْنُ، الْوَارِثِينَ﴾ "إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا" [مريم: ٤٠] .



- ثم إنَّ النعمَ تأتي في لحظات آمنة ، حيث لا خطرَ ولا حرب، ولا تخوفَ ولا هلع، فيَطعمون وهم في سكونٍ، ويشربون وهم في أمانٍ وارتياح ، قد رقّ نهارهم ، وطابَ ليلهم، وخنَس عدوهم ، فاجتمع لهم معَ لذيذ الطعام، جميلُ الأمن والاطمئنان ، ووسيعُ الخير والامتنان، والله ربنا واسع المنّ والفضل ...

- وغايةُ هذه الآية أن تحملكَ على تعظيم النعم، وشكر مسديها، وأنتَ تتلو هذه الآيات الموقظات ، فتردك إلى الله وكتابِهِ، وإلى ذكره وقرآنه ، فتعرف أنك في رغدٍ من العيش ، وفي أمانٍ من السكن ، وقد تهالكت أممٌ قبلَنا وبعدَنا ، بسبب ذلكَ الجحودِ والكفران، بطِروا المعيشة، وكفروا النعمة،



ونسوا الخـالقَ، وضـيّعوا شـريعته ، ولا يجني جانٍ إلا على نفسه ، والسلام ...

ـــــــــــ❊❊ـــــــــــ



١٢/ نداءُ الظلمة الدامسة:
(فنادى في الظُلمة)

كان نداءً أسيفـًا في غايةِ الحزن واللوعة ، وصدقِ الرغبة والتوجه، وتكنفه الاعتذارُ من كل مكان ، وحيطَ بالاعتراف وطلب الاستغفار ، وأنني المذنب المقصّر ... وهو يونس عليه السلام ، صاحبُ النُّون والحوت، الملتجئ إلى البحر وظلماته وعجائبه...(وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقدِرَ عَلَيهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ) سورة الأنبياء:٨٧ .

**



- وسببُ القصةِ البحرية ، والتي فجّرت ذلك الحزنَ، والغمَّ النازل بالعبد الصالح .. أن يُونُسَ عَلَيْهِ السلام ، دعا قومَه مدةً فاستنكروا واستكبروا ، فخرج مغاضبًا منهم، ولم يستأذن ربه تعالى – وهم خرجوا بعد ذلك تائبين – ، فعتب الله عليه ، وذَهَبَ فَرَكِبَ مَعَ قَوْمٍ البحر فِي سَفِينَةٍ فلعبت بِهِمْ الأمواج ، وَخَافُوا أَنْ يَغْرَقُوا . فَاقْتَرَعُوا عَلَى رَجُلٍ يُلْقُونَهُ مِنْ بَيْنِهِمْ يَتَخَفَّفُونَ مِنْهُ، فَوَقَعَتِ الْقُرْعَةُ عَلَى يُونُسَ، فَأَبَوْا أَنْ يُلْقُوهُ، ثُمَّ أَعَادُوا الْقُرْعَةَ فَوَقَعَتْ عَلَيْهِ أَيْضًا، فَأَبَوْا، ثُمَّ أَعَادُوهَا فَوَقَعَتْ عَلَيْهِ أَيْضًا، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ [الصَّافَّاتِ:١٤١] ، أي المغلوبين أَيْ: وَقَعَتْ عَلَيْهِ الْقُرْعَةُ ، فَقَامَ يُونُسُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَتَجَرَّدَ مِنْ

ثِيَابِهِ، ثُمَّ أَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْبَحْرِ، وَقَدْ أَرْسَلَ اللهُ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مِنَ الْبَحْرِ حُوتًا يَشُقُّ الْبِحَارَ، حَتَّى جَاءَ فَالْتَقَمَ يُونُسَ حِينَ أَلْقَى نَفْسَهُ مِنَ السَّفِينَةِ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَى ذَلِكَ الْحُوتِ ، أَلَّا تَأْكُلَ لَهُ لَحْمًا، وَلَا تُهَشِّمَ لَهُ عَظْمًا؛ فَإِنَّ يُونُسَ لَيْسَ لَكَ رِزْقًا، وَإِنَّمَا بَطْنُكَ لَهُ يَكُونُ سِجْنًا.

- وقيل مكثَ فيه مدة أعلاها أربعونَ ليلة : فَلَمَّا انْتَهَى بِهِ إِلَى أَسْفَلِ الْبَحْرِ، سَمِعَ يُونُسُ حِسًّا، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ: مَا هَذَا؟ فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ، وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: إِنَّ هَذَا تَسْبِيحُ دَوَابِّ الْبَحْرِ. قَالَ: فَسَبَّح وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ، فَسَمِعَ الْمَلَائِكَةُ تَسْبِيحَهُ فَقَالُوا: يَا رَبَّنَا، إِنَّا نَسْمَعُ صَوْتًا ضَعِيفًا بِأَرْضٍ غَرِيبَةٍ قَالَ: ذَلِكَ عَبْدِي يُونُسُ، عَصَانِي فَحَبَسْتُهُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ

فِي الْبَحْرِ. قَالُوا: الْعَبْدُ الصَّالِحُ الَّذِي كَانَ يَصْعَدُ إِلَيْكَ مِنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ عملٌ صَالِحٌ؟. قَالَ: نَعَمْ". قَالَ: "فَشَفَعُوا لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَأَمَرَ الْحُوتَ فَقَذَفَهُ فِي السَّاحِلِ، كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [الصَّافَّاتِ: ١٤٥] .

- ويروى : قَالَ وسبَّح بهذه الكلمات المباركات : "اللَّهُمَّ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، سُبْحَانَكَ، إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ". فَأَقْبَلَتْ هَذِهِ الدَّعْوَةُ تَحُفُّ بِالْعَرْشِ ، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبِّ، صَوْتٌ ضَعِيفٌ مَعْرُوفٌ مِنْ بِلَادٍ غَرِيبَةٍ؟ فَقَالَ: أَمَا تَعْرِفُونَ ذَاكَ ؟ قَالُوا: لَا يَا رَبِّ ، وَمَنْ هُوَ؟ قَالَ: عَبْدِي يُونُسُ. قَالُوا: عَبْدُكَ يُونُسُ الَّذِي لَمْ يَزَلْ يُرفَع لَهُ عَمَلٌ مُتَقَبَّلٌ ، وَدَعْوَةٌ مُجَابَةٌ؟. قَالَ: نَعَمْ . قَالُوا: يَا رَبِّ، أَوَلَا تَرْحَمُ مَا كَانَ يَصْنَعُ فِي الرَّخَاءِ



فتنجيه مِنَ الْبَلَاءِ؟ قَالَ: بَلَى. فَأَمَرَ الْحُوتَ فَطَرَحَهُ فِي الْعَرَاءِ

، أي المكان الخالي الذي لا عيش فيه ولا بشر.

- وكانت هذه الدعوةُ الصادقة سببًا في منجاته من الكربِ العظيم ، والظلمات الداهمة .. قال عز وجلّ : ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾ أَيْ: أَخْرَجْنَاهُ مِنْ بَطْنِ الْحُوتِ، وَتِلْكَ الظُّلُمَاتِ، ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ أَيْ: إِذَا كَانُوا فِي الشَّدَائِدِ ودَعَونا مُنِيبِينَ إِلَيْنَا، وَلَا سِيَّمَا إِذَا دَعَوْا بِهَذَا الدُّعَاءِ فِي حَالِ الْبَلَاءِ، وشدة العناء، فقد صح في المسند والترمذي رحمهم اللهُ، قال عليه الصلاة والسلام :(نَعَمْ، دعوةُ ذِي النُّونِ، إِذْ هُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: ﴿لَا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي



كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا مُسْلِمٌ رَبَّهُ فِي شَيْءٍ قَطُّ ، إِلَّا اسْتَجَابَ لَهُ).

- فهذه الكلمةُ اليسيرة، والدعوة الوجيزة ، جدير بِنَا تعلُّمها ، لا سيما وهي ميسورة، مقدورٌ فهمها واستطعامُها...! وجَمَعَ (الظُّلُماتِ) لِشِدَّةِ تَكاثُفِها فَكَأَنَّها ظُلْمَةٌ مَعَ ظُلْمَةٍ، وقِيلَ: ظُلُماتُ بَطْنِ الحُوتِ والبَحْرِ واللَّيْلِ. وقِيلَ: ابْتَلَعَ حُوتَهُ حُوتٌ آخَرُ فَصارَ في ظُلْمَتَيْ بَطْنَيْ الحُوتَيْنِ وظُلْمَةِ البَحْرِ....!
- وكلُّ كروبنا ضربٌ من تلك الظلمات التي يشتد ضيقها، ويكبر همها، ويشتعل شقاؤها ، ولا اندفاع لها إلا بصدق الذكر والدعاء، ومنه هذه الدعوة الجليلة (لا إلهَ إلا أنت

سـبحانك إني كنـت مـن الظـالمين). وقـد احتـوت توحيـدًا صـادقا ، وتسـبيحا عظيمًـا ، واعترافًـا بينًـا ، كانـت سـببًا في الإجابة ، وانقشاع الكرب والظلمة، والله الموفق .

**



١٣/ الفتنةُ الموقظة:

(أولا يرون أنهم يفتتنون في كل عامٍ).

فقهُ طبيعةِ الحياة ، وأنها متقلبةٌ ما بينَ خيرٍ وشرّ ، أو سعةٍ وضيق، أو شبع وجوع، يستدعينا للاتعاظ والادكار ، ومحاسبةِ النفس، ومراجعةِ أعمالِها ، وأنه لابد من حضورِ اللحظةِ المنيبة، والساعة التائبة ، والتي تعلنُ النفسُ فيها استيقاظَها ، ورجوعَها إلى ربها ، واستعدادَها لآخرتها ...

كما قال تعالى : ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ سورة التوبة : ١٢٦ .

**

- والسببُ أنَّ الحياة ذاتُ بلاءٍ وأرزاء، وحمالـةُ هـوانٍ وشـقاء، ولا تـزالُ تنشـبُ أظفارهـا في النـاس، وقليـلٌ مـن يـتعظ مـن ذلك..! فهنا يقول تَعَالَى: أَوَلَا يَرَى هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ ﴿أَنَّهُـمْ يُفْتَنُـونَ﴾ أَيْ: يُخْتَبَـرُونَ ﴿فِـي كُـلِّ عَـامٍ مَـرَّةً أَوْ مَـرَّتَيْنِ ثُـمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ أَيْ: لَا يَتُوبُونَ مِنْ ذُنُوبِهِمُ السَّالِفَةِ، وَلَا هُـمْ يَـذْكُرُونَ فِيمَـا يَسْـتَقْبِلُ مِـنْ أَحْـوَالِهِمْ، وتقصـدها البليـات بـلا اتعـاظ ولا اعتبـار... قَيـل: يُخْتَبَـرُونَ بالسَّـنة وَالْجُوعِ وشظف العيش، أو بِالْغَزْوِ فِي السَّنَةِ مَرَّةً أَوْ مرتين .
- وكما أنَّ الحياةَ ساحةُ لعب ولهـو ، هـي أيضًـا سـاحةُ اختبـار وامتحـانٍ لفـرز القلـوب ، وتمحـيصِ النفـوس وردهـا إلـى خالقها ، وحينئذ تكونُ المصائبُ حسنةً لـبعض النـاس ، فـلا



تُجدي فيهم لا مواعظُ ولا آياتٌ ، وتكونُ المصيبةُ هي موعظتَه ونصيحتَه . . .

- ولو تفكرَ المرءُ لكان البلاء سببًا في التوبة والرجوع الإيماني، والكفِّ عن الذنوب والغفلات...! ولكن للأسف كأنَّ القلوبَ قد قسَت، والنفوسَ أجدبت...(ثم لا يتوبون) بسبب ذلك النفاق ونقض العهد ، ولا يرجعون إلى الله ، مع أن الابتلاء يقتضي الرجوعَ والتذكرَ والنباهة ، (ولا هم يذكرون) أي لا يرون ولا ينظرون ولا يتعظون، وهذا تعجيبٌ من الله سبحانه للمؤمنين من حال المنافقين ، وتصلبهم في النفاق وإهمالهم للنظر والاعتبار، والانتفاع بالأحداث .

- والواقعُ يشهد برجوع نفوسٍ كثيرة إلى الله، من جراء ويلاتٍ نزلت بها، وشدائدَ حلَّت فيها ، لما تفكّرت وتدبرت، وأحست أنها مَدَّت في الغفلة، وغاصت في الضياع ، وأنه لابد من رادعٍ، وقيام مانع، فحصلت البليةُ لتوقفَ المهزلة ، وتوقظَ الضمير ، وتحي الفؤاد ....! وأيضًا في الواقع نفوسٌ لا زالت تتأبى وتكابر ، وتوغلُ في المُترفات والشهوات ، بسبب حرصِها القاتم، وهلعِها الشديد تجاه كل غفلةٍ ومعصية، ورفضها فلسفة البلاء ودروسه وقيمه ..(ثم لا يتوبونَ ولاهم يذكرون).

- وليس ثمةَ تفسيرٌ لذلك العناد بعد ذلك البلاء ، إلا تراكمِ الذنوب واحتدادِ الخطايا، الذي أصمَّ القلبَ ، وأعمى



البصر، وطمس على البصيرة ، فلا زالت تحتاج إلى عزيمةٍ داخليةٍ للانتشال ، أو طرفٍ خارجي يُعينها ويُسددها ، ويأخذُها غرةً أو عنوةً...!!

- وتحديثها نفسَها بالتوبة وتركِ الشقاء ، مؤشرُ خيرٍ لها لو استجابت لكل نداء عقلي ، يحملُها على التدبر والمحاسبة.. فكم ستعيشُ في الدنيا يا ابنَ آدم ، وماذا ستحمل منها..؟!

- ومن الوسائل للمعالجة: تفحصُ البلاءات ، وذكرى الموت، ورحيلُ الناس ، وفقدانُ الأحبةِ ، وجليس الخير والنور ، ومراجعةُ السلوك ، واستحضارُ عظمة الباري، والشوقُ الى الطاعات، وحنين القلب الحزين ، وتفعيلُ



الصدقات والإحسان..(إن الله لا يظلم مثقال ذرة ..) سورة النساء.

- وإذا مُنع الانتفاع ، وحالت الغفلاتُ ،،فاعلم أنَّ القلبَ مغمورٌ ، والروح معدومة ، وتحتاج إلى موقظاتٍ قوية، وأدويةٍ ناجعة ، ذاتِ فعاليةٍ مؤثرة ، لتُزيلَ عمايةَ القسوة، وشدةَ الغلاف المنصوب، والله المستعان . اللهم أصلح نفوسَنا وطهر قلوبنا . آمين .

❊❊



١٤/ الطعامُ المصنوع :

(فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ . أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا)

كلنا نأكلُ وننتفعُ بالطعام الموضوع في الأرض من الواحد الأحد،وقليلٌ منا من يتدبرُ مجيئه وصناعته...!! فهل تفكرنا في صناعته وكيف سخَّره الله وصنعه لبني آدم وسائر الكائنات ...!

(فلينظرِ الإنسانُ إلى طعامه) سورة عبس: أي ينظر كيف خلق الله طعامه، ويتفكره، الذي جعله سبباً لحياته، وكيف هيأ له أسباب المعاش، والهناء والسلامة، يستعد بها للسعادة الأخروية، دينًا وذكرا وتفاعلًا ،..!

**

- فخلقه سبحانه وطعامَه، وهيَّأ له عيشَه وكيانَه ، وذلَّل طريقَه وملاذه، وأوسعَ مُناه وحياتَه ..

- وفي الآية امْتِنَانٌ من الله ، وفيها اسْتِدْلَالٌ بِإِحْيَاءِ النَّبَاتِ مِنَ الْأَرْضِ الْهَامِدَةِ عَلَى إِحْيَاءِ الْأَجْسَامِ بَعْدَمَا كَانَتْ عَظَاما بَالِيَةً، وَتُرَابًا مُتَمَزِّقًا، (أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا) أَيْ: أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى الْأَرْضِ، (ثُمَّ شَقَقْنَا الأرْضَ شَقًّا) أَيْ: أَسْكَنَاهُ فِيهَا فَدَخَلَ فِي تُخُومها وتَخَلَّل فِي أَجْزَاءِ الْحَبِّ المودعَ فِيهَا ، فَنَبَتَ وَارْتَفَعَ وَظَهَرَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ شكلا حسنا بهيًا ، (فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا) فَالْحَبُّ: كُلُّ مَا يُذْكَرُ مِنَ الْحُبُوبِ، وَالْعِنَبُ مَعْرُوفٌ وَالْقَضْبُ هُوَ: الْفَصْفَصَةُ الَّتِي تَأْكُلُهَا الدَّوَابُّ رَطبَةً. وَيُقَالُ لَهَا: القَتّ أَيْضًا..!



- وهنا الآيةُ الكريمةُ لا تدعوك إلى فعل عبادة ثقيلة، ولكنها تدعوك إلى مرأى طعامك الشهي ، وتلك المائدة الممدودة، الذي تتعاهده كل يوم، وتحاول المتعة فيه، وتتفاخر فيه أمام الأصدقاء والضيفان.. فتأمل مَن خلقه وسواه وأبدعه...
- وهذا الفعل التدبري إذا مارسته بصدقٍ نبهك على الله ، وأوصلكَ بالخالق ، وأرشدك إلى الطريقِ السديد ...وكيف جاءت هذه النعمُ، وسيقت الموائدُ ناضجةً طيبةً... ولعلها تحملك على عبادة الشكر المفقودة..(لئن شكرتم لأزيدنكم ، ولئن كفرتم إن عذابي لشديد) سورة إبراهيم. وتُذكرك بقضية البعث المجحودة من الكفار، وأنك ستُحيا كذلك النبات ..! ومن أدعيته الجميلة صلّى اللهُ عليه



وسلم:(اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحُسن عبادتك).

واللهُ الموفق .

ـــــــــــــ❊❊ـــــــــــــ

١٥/ المولود الجاهل :

(وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا).

صورةُ كلِّ مولودٍ في أول طلوع له على الحياة ، مخلوقٌ صغير جاهلٌ، ناقص الإدراك ، فيقيضُّ الله له والديه ليُربيانه ويعلمانه ... كما قال تعالى :(وَاللهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) .سورة النحل: ٧٨]. يتناثرُ باكيًا لايدري ما حوله، ثم يُغذَى وينمّى حتى يتعرفَ على من حوله، ويتفاعل مع الجميع، وتُغرسُ فيه المثل، ويتهيأ للتعليم..!

**

- كذا هو الإنسانُ مخلوقٌ جاهل، ثم إنسان معلَّم مفهَّم، كما قال: وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ...! فيذكرُ تَعَالَى منَّته عَلَى عِبَادِهِ، فِي إِخْرَاجِهِم مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ لَا يعلمون شيئًا، ثم بعد هَذَا يَرْزُقُهُمْ ويمدهم السَّمْعَ الَّذِي بِهِ يُدْرِكُونَ الْأَصْوَاتَ، وَالْأَبْصَارَ اللَّاتِي بِهَا يُحِسُّونَ الْمَرْئِيَّاتِ، وَالْأَفْئِدَةَ -وَهِيَ الْعُقُولُ- الَّتِي مَرْكَزُهَا الْقَلْبُ عَلَى الصَّحِيحِ، وَقِيلَ: الدِّمَاغُ وَالْعَقْلُ بِهِ يُمَيِّزُ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ ضَارِّهَا وَنَافِعِهَا.

- وَهَذِهِ الْقُوَى وَالْحَوَاسُّ تَحْصُلُ لِلْإِنْسَانِ عَلَى التَّدْرِيجِ قَلِيلًا، قَلِيلًا كُلَّمَا كَبِرَ زِيدَ فِي سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَعَقْلِهِ، حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ، والتعليم والاستذكار يزيدها ويشعلها . وَإِنَّمَا جَعَلَ

تَعَالَى هَذِهِ فِي الْإِنْسَانِ، لِيَتَمَكَّنَ بِهَا مِنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ تَعَالَى، ويسعى في الحياة، فَيَسْتَعِينُ بِكُلِّ جَارِحَةٍ وَعُضْوٍ وَقُوَّةٍ عَلَى طَاعَةِ مَوْلَاهُ، وعمارة دنياه ...

- على أنه لا يسلمُ من تربص الشيطان ووخزاته من أول لحظات الولادة، ولذلك جاء من طريق السنة الجميل حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا نَخَسَهُ الشَّيْطَانُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ نَخْسَةِ الشَّيْطَانِ، إِلَّا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ). ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: { وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ }. ولكنْ حسنُ الرعاية وسننُ الولادة الشرعية، تدفع كثيرًا من ذلك الخطر المبدئي، ولذلك شُرع

الأذان في أذنــه اليمنــى ليعــرف التوحيــد، وتعمــل الآلــة الصوتية .

- فهل وعَينا هـذه الـنعم التـي جعلهـا الله في أجسـادنا ، وعرفنا قدرها.. (لعلكم تشكرون) أي لكـي تَصـرفوا كـلَّ آلـةٍ فيما خُلقت له ، فعند ذلك تعرفون مقدار ما أنعـم الله بـه علـيكم ، فتشكرونه أو أن هذا الصرف هو نفس الشكر.
- فاستعملْ عبدَ الله هذه الآلات في طاعةِ الله ، وإياكم وتبديدها فيما يضر ولا ينفع ، واهتبالَ الزمان تعلما وتحصـيلًا ، لـتنعمَ بحُسن عائدتها ، ومن دعائه صلّى اللهُ عليه وسلم :(اللَّهُمَّ مَتِّعْنا بأسْمَاعِنَا، وأبْصَارنا، وِقُوّتِنا مَا أحييْتَنَا، واجْعَلْهُ الوَارِثَ منَّا). ومـن التمتيع بهـا اسـتعمالها في رضـوان الله ، وجعلهـا

منارات للتعلم والاستنارة الدينية والدنيوية . فإن من وظفها للعلم بالله ورسوله أفلحَ وأنجح ، ومن استعملها في دنياه ، معاشًا وتكسبا في الحق، وُفِّق وسُدد...!

- والوعي التدبري لهذا النص القرآني الموقظ ، يجعلُك تُقِرُّ بالعجز ، وتستيقنُ التقصير ، فتراجع طاعةَ ربك ، وتُصلح من نفسك، وتقيم اعوجاج حياتك، وتسارعُ في مرضاة الله تعالى ...(وسارعوا إلى مغفرةٍ من ربكم) . وتعظمُ المسارعةُ حينما تستطعمُ نعمةَ الله عليك ، وتحسُّ أفضاله ، وتعيشُ آلاءه ، وكيف خلَقكَ ورعاك، ثم علَّمك وغذَّاك ، ومنحَك وبوأك ، حتى صرتَ بشراً سويًا ، ذا قيمةٍ وأثرٍ ومكانة...!



- وإذا استعدتَ التاريخ الطفولي لك وعيتَ ذلك، أو حدثك والدك فقهتَ الموعظة القرآنية، .. وكذلك حينٍ مشاهدة الصغار مع ابائهم وهم رضعاء أو صغار في المهد، وحاجتهم الماسة للرعاية .. سيذكرك بالطفل الصغير الضعيف المستكنّ في خلدك .. كنتَ يوما من الأيام كذلك ..! فهل من مُعتبَر.. وهل من مُزدجَر ....والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

**

١٦/ الوداعُ الحتمي:

(قل إن الموتَ الذي تفرونَ منه فإنه ملاقيكم)

حقيقةٌ لا يكاد يكذِّبُها إنسانٌ ، ويقينٌ لا يماري فيه مخلوق ، وبرهانٌ لا يدفعُه متمنٍ في الحياة ...(قل إن الموتَ الذي تفرونَ منه فإنه ملاقيكم) . فهو اليقينُ المنتظر ، والوعد الحق، والنهاية القاصمة ! فرقت أحبة ، وقطّعت أواصر ، وأفنت أممًا وجماعات ، وعكرت مستقبل أغنياء وشهوانيين...(كل نفس ذائقة الموت) سورة آل عمران.

**

- فهو حتمٌ نازلٌ ، لا مفر منه ولا هروب، ولا اعتذار أو إمهال ، ولا اختباء أو حجاب... (فإنه ملاقيكم) كما قال تعالى :



﴿أَيْنَما تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ المَوْتُ ولَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨] . ومَن هابَ أسْبابَ المَنايا ينلْنهُ... ولَوْ نالَ أسْبابَ السَّماءِ بِسُلَّمِ .. فلا تُغني عنكم البروجُ المشيدة، ولا القصورُ المُنيفة ، ولا الثرواتُ الوفيرة... بل ستغادرونَ الدنيا بلا قصرٍ ولا ثروة ، سوى ما قدمتم من عملٍ صالح، أو قربةٍ نافعة...وفي الحديث الصحيح : (يتبعُ الميِّتَ ثلاثة: فيرجِعُ اثنانِ ويبقَى واحِدٌ يتبعُه أَهلُه ومالُه وعملُه فيرجعُ أَهلُه ومالُه ، ويبقى عملُهُ).

- وهذه الحقيقةُ تشاهدها في الأقارب والجيران والأحباب، ولا ينفك عنها مخلوق، وهي جديرةٌ أن توقظَ القلب، وتنبهَ الغافل ، حتى يستعيدَ نفسَه، ويتداركها قبلَ فواتِ الأوان..!



والأوانُ يفوتُ بلحظةٍ خاطفة ، أو مرضٍ داهم ، أو نهايةٍ سريعة ...﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ سورة الأعراف.

- فحينما تستشعرُ أن الدورَ عليك ، ستقفُ قليلًا ، وتتدبرَ أمرك، وتعلنُ توبتَك ورجوعك ، فهي قضاء نافذ، عاقبة محتمة .... حُكمُ المَنِيَّةِ في البَرِيَّةِ جاري. ما هَذِهِ الدُنيا بِدار قَرار. بَينا يَرى الإِنسان فيها مُخبِراً... حَتّى يُرى خَبَراً مِنَ الأَخبارِ.. طُبِعَت عَلى كدرٍ وَأَنتَ تُريدُها...صَفواً مِنَ الأَقذاءِ وَالأَكدارِ...!

- ومن تفكرَ في الموت كثيرًا ، وأيقنَ بلحظتهِ الخاطفة ، تخوف واستعدَّ ، وجد وارتقبَ، وتهيأ لما هو قادم ... ! قال

لقمان الحكيم لابنه: "يا بني، أمرٌ لا تدري متى يلقاك، استعدَّ له قبل أنْ يفجأك" . وكان أبو هريرة إذا رأى أحدًا يحمل جنازة يقول لها: "امضوا، فإنا على الأثر". وحفر الربيع بن خثيم رحمه الله قبرًا في داره ينام فيه كل يوم، ليذكر الموت، وكان يقول: " لو فارق ذِكْرُ الموت قلبي ساعةً، لفَسَد". وكان محمد بن واسع رحمه الله إذا قيل له: كيف أصبحت؟ قال: ما ظنُّك برجلٍ يرحلُ في كل يوم إلى الآخرة مرحلة؟! . وقال الحسن البصري رحمه الله : " فضحَ الموتُ الدنيا، فلم يترك لذي لُبٍّ فرحًا ".

- ولما صحَّت قلوبُ هؤلاء استعدوا له، وأفاضوا حِكمًا في التهمم به والتحذير من الغفلة ، والتجهز بالأعمال الصالحة

. لأنَّ ثمة موعدًا يلقون فيه ربهم، ويعاينون جزاءهم .. ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلغَيبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُم تَعمَلُونَ﴾ [الجمعة ٨] . فيها وعيد شديد حيث ستُرْجَعون يوم البعث إلى الله ، العالم المحيط بكل شيء، فيخبركم بأعمالكم، وسيجازيكم عليها، إن خيرًا فخير، وإنْ شرًّا فشر .

- ولمن فرَّ من الموت، ستشاهده في أحبابك ، وستحضر المقابرَ مودعًا ، ومشيعًا، ولو كرهتَ منظرَ الموت ، وتشاءمت من حسه وصوته، والله المستعان .

**



١٧/ القلوبُ الخاشعة :

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾

كم لكَ سنةً في الإسلام ، وكيف توصلتَ إليه .. وما هي الفوائدُ المجتناة.. وهل تخضعُ عند آياتِ كتابَه إذا تلوتها ، وهل إذا سمعتَها في الصلوات تتأثر بها ، وتخشعُ من هيبتها إن لك عقدًا أو عقودا في الإسلام ، ولا زلتَ تشكو ضعفَ السلوك ، أو اشتدادَ الغفلة عليك ..! فمتى العودةُ، ومتى الخشوع الصادق، والتوبةُ المتجددة ... ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُم لِذِكرِ ٱللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلحَقِّ وَلَا



يَكُونُوا كَٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ..) سورة الحديد .

******

- يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَمَا آنَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وقد انجلى الحق ، وسطع النور ، أَيْ: تَلِينَ عِنْدَ الذِّكْرِ وَالْمَوْعِظَةِ وَسَمَاعِ الْقُرْآنِ، فَتَفْهَمَهُ وتنقادُ لَهُ وَتَسْمَعَ لَهُ وَتُطِيعَهُ.

- فمتى يحضرُ وقتكم، ومتى تحينُ ساعتكم . لتخشعوا الخشوع الحقيقي ...(ألم يأنِ للذين آمنوا..) أي لم يحِن الوقت ، ويحضر الزمنُ الموعود للذكرى والانتفاع ، وقد طالت بكم الشرائع ، وازدهر الإيمان... والمعنى أنه ينبغي

أن يورثهم الذكر خشوعًا ورقة، ولا يكونوا كمن لا يلين قلبه للذكر، ولا يخشع له، قد قسا وجفا وتعالى .

- والآيةُ عتابٌ صريح لمن آمن وما خشع، ومن اهتدى ولم يعتبر ، ومن أسلمَ ولا زال في شغلٍ عن دينه، يسمع الآيات فلا ينقاد ، ويحضر الدروس ولا خضوع ، ويستمع المواعظ ولا مسارعة ...! عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه ، أَنَّهُ قَالَ: " إِنَّ اللهَ اسْتَبْطَأَ قُلُوبَ الْمُهَاجِرِينَ فَعَاتَبَهُمْ عَلَى رَأْسِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ مِنْ نُزُولِ الْقُرْآنِ، فَقَالَ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ﴾ الْآيَةَ " ..! وفي صحيح مسلم رحمه الله : عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: " مَا كَانَ بَيْنَ إِسْلَامِنَا

وَبَيْنَ أَنْ عَاتَبَنَا اللهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ﴾ [الْآيَةَ.. إِلَّا أَرْبَعُ سِنِينَ ".

- وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ نَهَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَشَبَّهُوا بِالَّذِينِ حَمَلُوا الْكِتَابَ قَبْلَهُمْ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، لَمَّا تَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ بَدَّلُوا كِتَابَ اللهِ الَّذِي بِأَيْدِيهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا وَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَأَقْبَلُوا عَلَى الْآرَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالْأَقْوَالِ الْمُؤْتَفِكَةِ، وَقَلَّدُوا الرِّجَالَ فِي دِينِ اللهِ، وَاتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ، فَلَا يَقْبَلُونَ مَوْعِظَةً، وَلَا تَلِينُ قُلُوبُهُمْ بِوَعْدٍ

وَلَا وَعِيـدٍ.(وَكَثِيـرٌ مِـنْهُمْ فَاسِـقُونَ﴾ أَيْ: فِـي الْأَعْمَـالِ، فَقُلُوبُهُمْ فَاسِدَةٌ، وَأَعْمَالُهُمْ بَاطِلَةٌ...!

- قال الشيخ ابـن عاشـور رحمـه الله: " والمَقْصُـودُ مِـنَ الَّـذِينَ آمَنُـوا: إمّـا بَعْـضٌ مِـنهم رُبَّمـا كـانُوا مُقَصِّـرِينَ عَـنْ جُمْهُـورِ المُـؤْمِنِينَ يَوْمَئِـذٍ بِمَكَّـةَ فَـأرادَ اللهُ إيقـاظَ قُلُـوبِهِمْ بِهَـذا الكَـلامِ المُجْمَلِ عَلى عادَةِ القُرْآنِ وأقْـوالِ الرَّسُـولِ ﷺ في التَّعْـرِيضِ مِثْلَ قَوْلِهِ «ما بالُ أقْوامٍ يَفْعَلُونَ كَذا» وقَوْلُهُ تَعـالى ﴿وطائِفَـةٌ قَدْ أهَمَّتْهم أنْفُسُهم يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الحَقِّ ظَنَّ الجاهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤] . ولَيْسَ ما قالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ مُقْتَضِيًا أنَّ مِثْلَهُ مِن أُولَئِكَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللهُ بِهَذِهِ الآيَةِ ولَكِنَّهُ يَخْشى مِنهم حَـذَرًا وحَيْطَةً. فالمُرادُ بِالَّذِينَ آمَنُوا ، المُؤْمِنُونَ حَقًّـا ، مَـن يُظْهِـرُونَ



الإيمانَ مِنَ المُنافِقِينَ إذْ لَمْ يَكُنْ في المُسْلِمِينَ بِمَكَّةَ مُنافِقُونَ ولا كانَ داعٍ إلى نِفاقِ بَعْضِهِمْ. وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ لَمّا نَزَلَتْ جَعَلَ بَعْضُنا يَنْظُرُ إلى بَعْضٍ ويَقُولُ: ما أحْدَثْنا. وإمّا أنْ يَكُونَ تَحْرِيضًا لِلْمُؤْمِنِينَ عَلى مُراقَبَةِ ذَلِكَ والحَذَرِ مِنَ التَّقْصِيرِ " .

- وخلاصةُ الوعي التدبري للآية : أنها معاتبةٌ لك في دينك واستقامتك ، ودعوةٌ لك في التخلي عن الغفلات، واستقبال المنهج الشرعي ، والعمل على صلاح القلبِ وليس الجسد ، وانتفاع الروح وليس العضلات، وزكاة العقل وليس تعاليه، والتهمم بالآخرة وليس عمارة الدنيا..!



- فارجعْ إلى القرآن واقرأه حقَّ قراءته، وتعاهده بترسل ، وخذ من مواعظه ، وارشفْ من مائدته ، وجاهد نفسَك للتخشع والإخبات ، وحسن التدين الموصل لصلاح قلبك وحياته، فكم من قراء وقلوبُهم بعيدة، وكم من حفاظٍ ونفوسُهم جافية ، وربَّ قارئ للقرآن، والقرآن يلعنه من جوفه ، وما كُتبت هذهِ المواقظ إلا لعلاج ومداواة هذه المعضلة في حياتنا، والله المستعان ...!

**



١٨/ هلُمُّوا للتوبة:

(أفَلَا يَتوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ)

مـاذا تنتظـر.. وإلامَ التـأخرُ ... هـا هـي الـدعوةُ الإلهيـة ، والكـرم الرباني ، تنتهضُ هممَكم للتوبة، وتستدعيكم للمسارعة ، فالبـاب الآن مفتوحٌ، وقد يغلقُ وأنتم لا تشعرون... (أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) سورة المائدة :٧٤ .

- وَهَذَا مِنْ كَرَمِهِ تَعَالَى وَجُودِهِ وَلُطْفِهِ وَرَحْمَتِهِ بِخَلْقِهِ، مَعَ هَـذَا الذَّنْبِ الْعَظِيمِ وَهَذَا الِافْتِرَاءِ وَالْكَذِبِ وَالْإِفْكِ، يَدْعُوهُمْ إِلَـى التَّوْبَةِ وَالْمَغْفِرَةِ، فَكُلُّ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ تَابَ عَلَيْهِ،...! برغم أنهم قالوا الشرك ، وارتكبوا أغلظَ الموبقات، ومع ذلك فـتح لهـم

البــاب، ومنــاهم برحمتــه، وأنَّ التوبــة تجــبُّ مــا قبلهــا، والاستغفار يمحو ما سلف، والله واسعُ المنّ والفضل ...

- ومهما اقترفنا من الذنوب أو خالطنا من الخطيئات، فراياتُ التوبة ترفّ علينا، وأنوارها تلوحُ لنا، والله أفرح بتوبة عبدهِ إذا أناب واستغفر، وفي الحديث :(اللهُ أَفْـرَحُ بِتَوْبَـةِ عَبْدِهِ مِـنْ أَحَدِكُمْ سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ وَقَدْ أَضَـلَّهُ فِـي أَرْضِ فَـلَاةٍ). وقال عليه الصلاة والسلام :(إِنَّ اللهَ عَـزَّ وَجَـلَّ يَبْسُـطُ يَـدَهُ بِاللَّيْـلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا).

- ومما ينشطُ التوبةَ في فكرنا وسلوكنا ، زحمةُ الحياة وحرارة الذنب، وتشجيع القرآن عليها، وذكرى الصالحين والمذنبين



قبلنا .. وفي القرآن نظير الآية المعنية :(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) سورة الزمر : ٥٣

- فمهما عظمَ الإسرافُ ، وكثرت الرزايا فلا تتأخر كثيرًا ، والهج ذكرًا واستغفارا.. واستحضر حلاوةَ الرجوع إلى اللهِ ، وقبح تأخيرك، أو تأجيلكَ السعادة، وتعلم ممن أنابوا إلى ربهم، أو رحلوا وهم مسوفون..
- وما عكّر حياةَ كثيرين إلا تأجيلُ التوبة ، والعكوفُ على دنياهم ...قال لقمانُ الحكيم رحمهُ الله تعالى لابنه: (لَا تُؤَخِّرِ التَّوْبَةَ، فَإِنَّ المَوْتَ يَأْتِي بَغْتَةً، وَمَنْ تَرَكَ المُبَادَرَةَ إِلَى التَّوْبَةِ بِالتَّسْوِيْفِ كَانَ بَيْنَ خَطَرَيْنِ عَظِيْمَيْنِ، أَحَدُهُمَا: أَنْ

تَتَـرَاكَمَ الظُّلْمَـةُ عَلَـى قَلْبِـهِ مِـنَ المَعَاصِـي حَتَّـى يَصِـيْرَ رَيْنـًا وَطَبْعَـًا فَـلَا يَقْبَـلَ المَحْـوَ، وَالثَّـانِي: أَنْ يُعَاجِلَـهُ المَـرَضُ أَوِ المَوْتُ فَلَا يَجِدَ مُهْلَةً لِلاشْتِغَالِ بِالمَحْوِ). ويقول الجنيـد بـن محمد البغدادي رحمه الله تعـالى: (التَّوْبَـةُ على ثلاثـةِ مَعَـانٍ: أَوَّلهـا: النَّـدَمُ. والثـاني: يَعْـزِمُ على تَـرْكِ المُعَـاوَدَةِ. والثالـث: يَسْعَى فِي أَدَاءِ المَظَالِمِ).

- ومـن معوِّقـات التوبـة : التسـويفُ وطـولُ الأمـل ، ومجالسـة اللاهين المشغلين ، والغوص في الغفلات ، والضيقة بالـذكرِ والمـواعظ ، وهجـر القـرآن والجماعـات ، ومحبـة الـدنيا والفساق ، وقفو الزينة والملاهـي وعـدم الاعتبـار ... وكـان عبد الله بـن المبـارك رحمـه الله يتمثل بقـول القائـل : وكيـف



تحب أن تدعى حكيما ... وأنت لكل ما تهوى رَكوبُ ..

وتضحك دائبا ظهرًا لبطنٍ . وتذكرُ ما عملتَ فلا تتوبُ ...

- فهلمَّ إلى التوبة ، وجدّد الاستغفار، ولا تغبْ كثيرًا ، فإنَّ النفسَ لها إقبال وإدبار ، والمنايا خطافة، والأحداث قاصمة، والدنيا زائلة ، والآخرة هي الفوز العظيم ، والنعيم المقيم.... والله الموفق .

**

١٩/ أحسنُ الحديث :

(اللّهُ نَزّلَ أحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتاباً مُتشَابِهاً مَثانِيَ ..)

في الحياة أحاديثُ كثيرة ، ومقولاتٌ مختلفة ، وأصنافٌ من الحكم والمواعظ والأشعار ، ولكنها تتقاصر عند عظمة هذا الكتاب وحسنه وقوته وإعجازه...(ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحسَنَ ٱلحَدِيثِ كِتَٰبا مُّتَشَٰبِها مَّثَانِيَ تَقشَعِرُّ مِنهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخشَونَ رَبَّهُم ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُم وَقُلُوبُهُم إِلَىٰ ذِكرِ ٱللَّهِ) سورة الزمر : ٢٣ . هَذَا مَدْحٌ مِنَ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- لِكِتَابِهِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ الْمُنَزَّلِ عَلَى رَسُولِهِ الْكَرِيمِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿اللهُ نزلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: يَعْنِي الْقُرْآنُ كُلُّهُ مُتَشَابِهٌ مَثَانِي. وَقَالَ قَتَادَةُ: الْآيَةُ تُشْبِهُ الْآيَةَ، وَالْحَرْفُ يُشْبِهُ الْحَرْفَ.

**



- فهو كتابٌ فائقُ الحُسن ، متشابهُ الآيات ، مكررُ المعاني والتلاوة ، تقشعرُّ منه الجلود ، وتوجلُ القلوب . بحيث إذا ذكرت آيات العذاب اقشعرت جلود الخائفين لله، وهو تغيرٌ يحدث في جلد الإنسان عند ذكر الوعيد، والوجل والخوف، وقوارع المواقف ، وينعكس على قلبه وداخله . وقيل: المعنى إن القرآنَ لما كان في غاية الجزالة والبلاغة، فكانوا إذا رأوا عجزهم عن معارضته اقشعرت الجلود منه إعظامًا له، وتعجبًا من حسنه وبلاغته. وعن عبد الله بن عبد الله بن الزبير قال: قلت لجدتي أسماء كيف كان يصنع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا قرأوا القرآن؟ قالت : " كانوا كما نعتَهم اللهُ تدمعُ أعينُهم، وتقشعرُّ جلودُهم،

قلت: فإن ناسًا ههنا إذا سمعوا ذلك، تأخذهم عليه غَشْية، قالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم". وكأنها تنكر ذلك، وإن كان وقع لبعض السلف، إلا أنه وقع من غير قصدٍ ولا تكلف...

- وهذا الكتابُ الحَسن، قامت الحجةُ واللغة والحسُّ والواقع على عظمته وروعته، وشدة تأثيره على النفوس، بحيث تهتز الجلود وتقشعر رهبةً وهيبةً.. فهنئيا لمن وفق لذلك، وناله شرف التدبر..

- قال الإمامُ ابن كثير رحمه الله: " قَوْلُهُ: (تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) أَيْ هَذِهِ صِفَةُ الْأَبْرَارِ، عِنْدَ سَمَاعِ كَلَامِ الْجَبَّارِ، الْمُهَيْمِنِ



الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ، لِمَا يَفْهَمُونَ مِنْهُ مِنَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ . وَالتَّخْوِيفِ وَالتَّهْدِيدِ ، تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُهُمْ مِنَ الْخَشْيَةِ وَالْخَوْفِ ، (ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ) لِمَا يَرْجُونَ وِيُؤَمِّلون مِنْ رَحْمَتِهِ وَلُطْفِهِ، فَهُمْ مُخَالِفُونَ لِغَيْرِهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ مِنْ وُجُوهٍ : أَحَدُهَا : أَنَّ سَمَاعَ هَؤُلَاءِ هُوَ تِلَاوَةُ الْآيَاتِ ، وَسَمَاعُ أُولَئِكَ نَغَمَاتٌ لِأَبْيَاتٍ ، مِنْ أَصْوَاتِ القَيْنات . الثَّانِي : أَنَّهُمْ إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ، بِأَدَبٍ وَخَشْيَةٍ ، وَرَجَاءٍ وَمَحَبَّةٍ ، وَفَهْمٍ وَعِلْمٍ.

- الثَّالِثُ : أَنَّهُمْ يَلْزَمُونَ الْأَدَبَ عِنْدَ سَمَاعِهَا ، كَمَا كَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ عِنْدَ سَمَاعِهِمْ كَلَامَ اللهِ مِنْ تِلَاوَةِ



رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَقْشَعِرُّ جُلُودُهُمْ ، ثُمَّ تَلِينُ مَعَ قُلُوبِهِمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ . لَمْ يَكُونُوا يتصارخُون وَلَا يَتَكَلَّفُونَ مَا لَيْسَ فِيهِمْ ، بَلْ عِنْدَهُمْ مِنَ الثَّبَاتِ وَالسُّكُونِ وَالْأَدَبِ وَالْخَشْيَةِ مَا لَا يَلْحَقُهُمْ أَحَدٌ فِي ذَلِكَ ؛ وَلِهَذَا فَازُوا بالقِدح المُعَلّى فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ "...

- وخلاصةُ الفقه التدبري من هذه الموعظة ، أن لا تلتمسَ حديثًا أحسنَ منه، ولا موعظةً تضاهيه، ولا شَهداً يوازيه، ولا مؤثرا يعادله... فكلُّها تنتهي عند عظمة هذا الكتاب ، وجماله وحلاوته . ولكن ليكنذلك التأثر والذهول على السنة والسداد.. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " مَا

يحصـل عِنْـد الـذّكر الْمَشْـرُوع مـن الْبكـاء ووجـل الْقلـب واقشـعرار الجسـوم : فَمـن أفضـل الْأَحْـوَال الَّتِـي نطـق بهَـا الْكتاب ... وَأما السّكُون ، قسوةً وجفاء : فَهَذَا مَذْمُوم ".والله الموفق .

_________**_________



٢٠/ لتكنْ منهم :

(أُولَـئِكَ هُمُ ٱلْمُؤمِنُونَ حَقًّا).

جاهدْ نفسَك .. وجربْ لو مرةً تكون من أهلِ الإيمان حقـًا – الذين اتسموا بصفات– والمتقين صدقًا ، والصانعينَ حُسنا ، الذين ترتجفُ قلوبُهم لذكرِ الله ، وتزدادُ تقواهم ، ويشتدُّ توكلهم، وتعظمُ صلاتهم ، ويجودون بلا ترددٍ ولا استبخال...(إِنَّمَا ٱلمُؤمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللهُ وَجِلَت قُلُوبُهُم وَإِذَا تُلِيَت عَلَيهِم ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتهُم إِيمَـٰنا وَعَلَىٰ رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ . ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقنَـٰهُم يُنفِقُونَ . أُولَـٰئِكَ هُمُ ٱلمُؤمِنُونَ حَقّا لَّهُم دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِم وَمَغفِرَة وَرِزق كَرِيم ﴾ [الأنفال ٢–٤] .

**



- ايمانٌ يحقق التوحيدَ الخالص ، وقلوبٌ وجِلةٌ ، وزيادة في الإيمان، وإقامة للصلاةِ طيبة، وجودٌ من مال الله بالغٌ..! قال ابن كثير رحمه الله: وَهَذِهِ صِفَةُ الْمُؤْمِنِ حَقَّ الْمُؤْمِنِ، الَّذِي إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَ قَلْبُهُ، أَيْ: خَافَ مِنْهُ، فَفَعَلَ أَوَامِرَهُ، وَتَرَكَ زَوَاجِرَهُ. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٣٥] وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النَّازِعَاتِ: ٤٠، ٤١]
- وَلِهَذَا قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رحمه الله : سَمِعْتُ السُّدِّيَّ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ



قُلُـوبُهُمْ﴾ قَـالَ: هُـوَ الرَّجُـلُ يُرِيـدُ أَنْ يَظْلِـمَ -أَوْ قَـالَ: يَهُـمُّ بِمَعْصِيَةٍ-فَيُقَالُ لَهُ: اتَّقِ اللهَ فَيجلُ قَلْبُهُ .

- فلماذا لا نكونُ منهم أحيانًا ونحـاكي صـفاتِهم...(أولئـك) أي المتصـفون بالأوصـاف المتقدمـة (هـم المؤمنـون) أي الكـاملون الإيمـان البـالغون فيـه إلـى أعـلا درجاتـه، وأقصـى غاياته (حقًا) أي حق ذلك حقـًا أو ايمانـًا حقـًا ، يعنـي يقينـًا لا شك في إيمانهم وصدقـًا لا ريب فيه...
- وهـذا يتطلـبُ صـدقَ الإقبـال ، وجهـادَ الـنفس ، وتصـحيح الفكرة ، وتعظيمَ الكتَـاب ، والحـرص علـى غراسـه وآثـاره ، ومن ثم ينالهم الثواب المنتظر. ﴿لَهم دَرَجاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ كَرامَةٌ وعُلُوٌّ مَنزِلَةٍ تفوق كـل المنـازل، وَقِيـلَ دَرَجـاتُ الجَنَّـةِ



يَرْتَقُونَها بِأعْمالِهِمْ، (وَمَغْفِرَةٌ) لِما فَرَطَ مِنهم ووقع . ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ أُعِدَّ لَهم في الجَنَّةِ لا يَنْقَطِعُ عَدَدُهُ ولا يَنْتَهِي أمَدُهُ، وتلك منازل الصالحين الفائزين .

- وحتى تكونَ منهم عليك بقلبٍ وجل ، وتفاعلٍ إيماني، وتوكلٍ عميق، وصلاة مقامة، ونفقةٍ في محلها ... وإذا تأملتها لا تراها عسرةً ولا ثقيلة، ولكنها تحتاج إلى عزيمةٍ صادقة ، وهمة سامقة..! وهي موجودة عند كل ذي لبٍّ حي، وعى الدنيا، تطلب الآخرة وتفكر فيها، والسلام...

**



الخـاتمـة

فقد تم بحمد الله تعالى كتابنا (موقظاتُ التـدبر القـرآني) والـذي حرصنا فيه إلى تقريب قضية التدبر المهجورة ، وسردنا آياتٍ من داخل الكتـاب تقربهـا وتُسـعف بهـا ، علَّ العقـل يعيهـا ويتفاعـل معها... والمقصود ما يلي :

أولا: أن التدبر في المقدور البشري، والسلوك الايماني عملُه ، إذا عزمنا عليه بمصداقية ونباهة فكر .

ثانيًا: أن ثمة آيات تساعد عليه، ميسورة مفهومة، لا تحتاجُ سـوى عزمةٍ مضيئة ، وإرادة متحفزة .

ثالثًا: ليكن شعارُك في التدبر البدءَ بالآيات اليسيرة ، والتي يفقهها أكثرُ الناس، وستكون هي مفاتيح الخزائن القرآنية بإذن الباري تعالى .

رابعًا: عشِ اللذةَ المعنوية ، والحلاوة الإيمانية من جراءِ وقع الآيات ، وتحسس طعمها وبركتها .

خامسًا: لتكن لك مجالسُ وقراءات تدبرية خلافًا لوردك المعهود ، وعظم التدبر، أكثرَ من التكرار المألوف، لتحرز الجنان، وتبلغ مراتب السعادات،..

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل ..